

روائع الأدب العالمي للناسئين

شجرة الجاكاراندا

ه. أ. بيتس



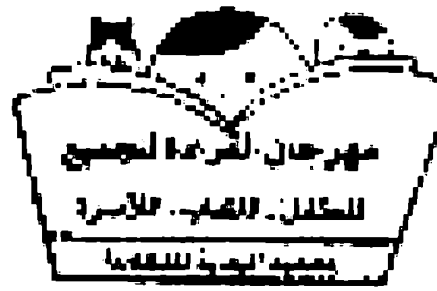
شجرة الجاكاراندا

شجرة الجاكاراندا

تأليف: هـ. أ. بيتس

ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال

مراجعة: مختار السويقي



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأدب العامي للشباب)

شجرة الجاكاراندا

تأليف: ه. أ. بيتس

ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال مراجعة: مختار المويلى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

الخلاف

والإشراف القلى:

القائد: محمود الهندي

المشرف العام:

د. سمير سرهان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هي تصدر أمامها السادس على التوالي برعاية كريمة من السيدة موزان مبارك تحمل دائماً كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار زوائج أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية في تجمع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع في ملايين النسخ الذي يتلفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة موزان مبارك التي تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجل والأروع والأعظم.

د. سمير سرهان

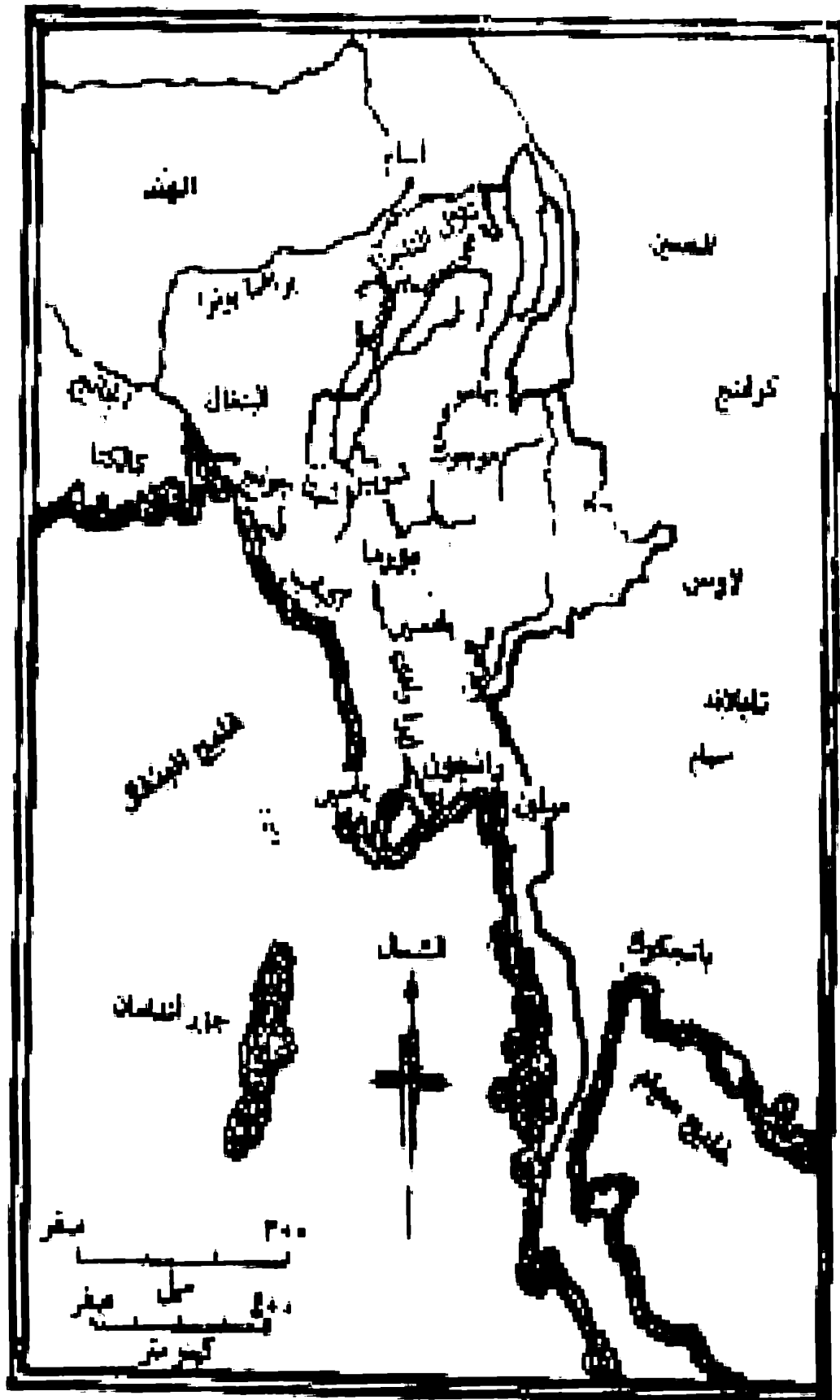
مقدمة

ولد هـ . ا . بيتس في عام ١٩٠٥ وقد عينته القوات الجوية الملكية البريطانية كاتباً أثناء الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ - ١٩٤٥] . وأعطى جانباً من حياته الوطنية في بورما والشرق الأقصى . وأثناء وجوده في ذلك الجزء من العالم كتب رواية « الأراضى المبسطة الأرجوانية » ، ورواية « السيف القرمزي » ، كما ألف كتاباً آخر شهيراً تحت عنوان « وقفت الرياح تماماً من أجل فرنسا » . هذا بالإضافة إلى العديد من القصص القصيرة بما في ذلك القصص المسلسلة عن « العم سيلامس » .

وتتناول رواية « شجرة الجاكاراندا » هروب

مجموعة من الناس من بورما الى الهند أثناء الحرب العالمية الثانية ، لدى قيام الجيش الياباني بشن هجومه .

وقد وقعت مجموعة صغيرة من المستوطنين البريطانيين في الأسر أثناء هربهم تحت قيادة باثرسون مدير ملاحونة الأرز المحلية . وتعتبر المفاخرات التي قامت بها هذه المجموعة من الرجال والنساء هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الرواية . إذ تناولت في براعة فائقة تصوير شجاعتهم ومخاوفهم لدى مواجهة الأخطار المروعة ، بالإضافة الى تصوير المشاجرات العديدة التي كانت تنشأ بينهم ، علاوة على توضيح الفوارق بين أسلوب الحياة في كل من بورما وانجلترا . وكثيرا ما يتضح لنا أن سلوك بعض أعضاء هذه الجماعة لدى مواجهة الموت وسوء الحظ يعتبر سلوكا غير متوقع على الإطلاق .



خريطة بورما

الفصل الأول

أصبح الضوء المبكر للنهار شاحب الاصفرار فوق
التراب . . . وسطح فوق الوجه الشاحب ذي اللون
الشبيه بلون القهوة خادم باترسون والذي يسمى
تيوسداي . كان ذلك الخادم مجرد صبي صغير . وكان
يرتدي قميص كرة القدم ، ويحمل تحت ذراعه مفاتيحا
صغيرا [راديو] . وقد بدا عليه كأنه يزهق السمع
لكي يستمع لصوته ما سيخرج من المذياع . وبدأ على
عينيه العسليتين كأنه يتوقع تماما سماع ذلك الصوت ،
اذ لم يكن بمقدوره أن يصدق شيئا آخر بخلاف ذلك .

وكان باترسون قد أعطاه ذلك المفاتيح وكل شيء
فعله باترسون يجب أن يكون صحيحا . وكان باترسون

قد أعطاه أيضا قميص كرة القدم وكل ما كان يمتلكه
الصبي تيوسداي في الحياة هو تلك الأشياء البسيطة . .
وباترسون نفسه وأخته التي تكبره في السن والتي
أطلق عليها باترسون اسم تادية . ولم يكن هناك أي
ولد آخر في بورما يمتلك مثل هذه الأشياء . ولا يمكن
أن يحصل أي ولد آخر على هذه الأمور .

كان الشمالية الذي يسكن فيه باترسون يقف
مطيا ظهره للنهر ، وتطل واجهته على حقل الأرز الجافة
وما وراءها من جبال . وخلف الشمالية كانت توجد بعض
الأشجار ذات أوراق زاهية تتمايل مثيرة للغبار
والتراب . ووراء تلك الأشجار كانت توجد طاحونة
الأرز . ولظروا لحقول بدايات موسم الصيف الحار في
شهر مارس فإن الشمالية كله كان يشبه منزلا من
الذهب ، حيث كان معظمه متواريا وراء حشد هائل من
الزهور الحمراء المنسابة لأسفل فوق السطح وفوق
تسرة البيضاء مثل النيران .

وكان دالميدسون قد شغل منصب المدير قبل

باترسون . وكان قد انشأ حديقة بها اعشاب وازهار . .
ولقد قام الأولاد برى العشب في الأمسيات . الا أن
باترسون لم يكن مهتما على ما يبدو بالحداثق ولذلك فقد
تدهورت تلك الحديقة ولم يتبق منها سوى شجرة
جاكاراندا واحدة تقع في منتصف الحديقة . وهي شجرة
كانت قد زرعها السيدة دافيدسون . الا أن الازهار
الزرقاء الناصعة قد بدأت تظهر بين الأوراق من جديد .
فتسبب ذلك اللبعض في أن جعل التراب يبدو هيتا .

وبدا تبوسداى بعد الشاي في المطبخ من أجل
تقديمه لباترسون . . وكان يؤدي عمله في بهجة
واشراح . وكانت الساعة آنئذ الخامسة إلا الربع .
وينبغي أن يتم ايقاظ باترسون من النوم في الساعة
الخامسة . أن باترسون سيتناول الشاي بدون اضافة
اللبن عليه . كما أنه سيتناول كمية من الأسبرين
متلما فعل في اليوم السابق أو الليلة السابقة . . أن
تناول قرص واحد من الأسبرين يعتبر أمرا عاديا . .
وتناول قرصين ليس بالأمر الخطير . . ولكن تناول أكثر
من ثلاثة أقراص هو أمر لا يعرف نتائجه ذلك الصبي

على نحو أكيد . ووقف بجوار سرير باترسون مبتسما
وقد امتلأ بالبهجة الشديدة حيث كان ينتظر استيقاظ
باترسون لكي يضع القنجان بجوار رأسه .

وبعد ذلك كان اليوم بسيطا للغاية . اذ ذهب
باترسون الى الطاحونة ، وقام الصبي بإعداد طعام
الافطار . وعندما عاد باترسون ، فعل أشياء غريبة
مع المذباغ . وفي ثوان قليلة تمكن الصبي من سماع
الاصوات البعيدة الغريبة والموسيقى وأخبار الحرب التي
جاءت من لندن ورائجون .

وبينما كان يقف مبتسما عند عائدة باترسون
لتقديم الخدمات له اثناء تناوله طعام الافطار ، لم يستطع
التفكير الا في شيء واحد من شأنه ان يدخل عليه المزيد
من البهجة . وهو انه ينبغي على باترسون ان يسمح له
بان يقدم له الطعام وهو مرتديا قميصه . كان ذلك
القميص هو قميص المساء القديم الخاص بباترسون .
الا ان الولد لم يكن يرتديه الا في المناسبات الهامة .

واذا كان يرغب في أي شيء أكثر من هذا فإنه كان

يرغب في سماع الأصوات من جهاز المذياع القديم الذى تخلص باترسون منه وألقى به بعيدا ، فأصبح ذلك الجهاز ملكا له . وهو فى كل مساء كان يحكف على ذلك المذياع ويفك أجزاءه قطعة قطعة ثم يعود يركبها مرة أخرى . وفى كل مساء كان يصفى وينتظر . إلا أن شيئا لم يحدث بحيث يحطم سيكون الصمت ويجلب له الموسيقى والأصوات مثلما هو الحال مع مذياع باترسون الذى يسمع منه كل شيء . ولكنه كان يعتقد أنه إذا تمسك بالصبر فإنه قد ينجح فى إصلاح المذياع .

وكان الشاليه يتكون من طابقين وشرقتين للنوم أحدهما أمامية والأخرى خلفية . وكانت الليالى مازالت مليئة بالهواء المنعش بالنسبة لباترسون مما كان يشجعه على النوم فى الشرقة بدلا من النوم فى داخل الشاليه . وفى الشرقة العليا الخلفية كانت تنام أخت الصبي . . . ولدى صعوده إلى الدور العلوى وضعه الشاي فى الساعة الخامسة إلا دقيقة واحدة ، توقف عند قمة السلالم للحظات وراح يصفى وينتظر . ولم يبد عليها أنها تتحرك فاستمر هو على طريقه . ومنذ اليوم الذى

أحضرها فيه الى المنزل لأول مرة أطلق عليها باترسون
 اسم قاذية والسبب في ذلك هو أنه كان يحب ذلك
 الاسم . هذا بالإضافة الى وجود سبب آخر وهو أنه لم
 يرغب في ازعاج نفسه بالأسماء البورمية رغم جمالها .
 وينفس الطريقة سمى الولد باسم تيوبسداي : لأن ذلك
 الاسم كان أيضا أكثر بساطة . . . ولأن يوم الثلاثاء
 Tuesday هو اليوم الذي سار فيه في تعب وابتسام
 من مكان ريفي يقع شرق شويبنو .

«وهمس الولد : « سيدى باتسون » واستطرد :
 « يا سيدى باتسون » .

ونادى مرة أخرى أو مرتين قبل أن يضع الصينية
 بجوار السرير .

وقال :

« الشاى . يا سيدى باتسون . .

واستطرد :

« الشاى . . .

وعندما استيقظ باترسون عند النداء الخامس أو السادس يادر إلى الجلوس معتدل القامة كما لو كان شيء ما قد ضربه ، أنها اللحظة التي كان يستعد لها الصبي دائما ، وإن كان بطريقة غير واثق منها تماما من صباح آخر . ووقف في هذه المرة مبتسما كالعادة ومنتظرا رؤية بداية الفصل الأول من يوم من أيام باترسون .

وعندما جاء الفصل الأول شعر بالدهشة . إذ أراح باترسون البطانيات وغادر السرير على الفور . ولم يستطع الولد أن يتذكر حدوث شيء من هذا القبيل فيما سبق . وظل الولد ساكنا في مكانه وراح يرقب باترسون وهو يسير ثلاث مرات عبر غرفة النوم . ولم يلمس باترسون أي شيء ولا حتى الأسبرين . ولكنه اقترب من الولد وجرى بإحدى يديه بين نظيات شعره . فبدأ قلب الولد يدق في عنف شديد وبسرعة كبيرة للحظات . واتسمت ابتسامته وأصبحت بمثابة نظرة خوف .

قال باترسون :

- يا سيدي !

- نعم يا سيدي . نعم يا سيدي باترسون !

- أريد منك أن تذهب برسالة إلى المستر

بتسون . هل تفهمني ؟

- نعم يا سيدي . سنتناول طعام الإفطار الآن !

وقام الولد بحركة سريعة للغاية نحو الباب قبل أن

يتمكن باترسون من إيقافه .

وقال باترسون :

- لا تهتم الآن بالإفطار ، عليك بالذهاب الآن إلى

المستر بتسون .

فقال الولد :

- نعم يا سيدي .

واستطرد :

- لا إفطار ؟

- دمع نادية تحضر في الاقطار . . وتعال الى بعد
خمس دقائق لتأخذ الرسالة .

- حاضر يا سيدي ا

ثم رأى الولد شيئا آخر مدهشا . لقد راح
باترسون يرتدى ملابسه . ولم يتناول الأسبرين وظل
الناس على المنضدة دون ان يمس .

وقال باترسون :

- اذهب بحق السماء . . فالحرب كلها ستتهبط
على رؤوسنا جميعا .

وعندئذ أدرك الولد أن باترسون لم يكن يمزح . .
ومع ذلك فإن الابتسامة لم تغارق وجهه . إذ ظل وجهه
لا يقصد سوى المزاح .

وفي الثور الأول راح الولد ينظف الحذاء الأبيض
الخاص بباترسون . لقد شعر أن كبرياءه قد جرح بعض
الشيء لأن باترسون قد فضل أن تعد له نادية طعام

الافطار - وفى المطبخ راح يقطع فاكهة - البابايا - (١)
الى شرائح مع وضع القليل من السكر عليها - اذ كانت
لكم هي الفاكهة المفضلة لدى بانرسون - وكان يعرف
مدى حب بانرسون الشديد لهذه الفاكهة - وكان
بمقتور نادبة ان تعد الباقي - وبعدئذ صباح بانرسون
مناديا عليه - فجري الولد خارجا من المطبخ - وتقابل
عند اسفل السلم مع بانرسون الذي كان قد ارتدى
ملابسه بالكامل وامسك بيده الرسالة الموجهة
ليتسون -

وبدا الولد يرتعد لدى رؤية بانرسون مرتديا
كامل ثيابه بالفعل حيث لم يكن يتوقع مشاهدته ذلك
المنظر - اذ أصبحت كافة تربيئات الصباح العادية
تسير في غير نظام - وادرك ان بانرسون لا يمكن ان
ينعش بهذه السرعة الفائقة الا اذا كان هناك شيء يتسم
بالخطورة البالغة - فهو قد بهض بدون ان يتناول الشاي

(١) البابايا : فاكهة لها لون ابرتقال من الداخل اما لونها

الخارجي فاحمر -

او الاسبرين او اى مساعده .

— اذهب الى يتسئون وعد الى على الفور ا

فاخذ الرسالة قافلا :

— نعم ، ساعطيها للمستتر يتسئون ا

— واحضر معك المستتر يتسئون .

— نعم . . . المستتر يتسئون .

وبدا الولد فى الجرى على الفور ، خارجا من الباب الخلفى للشاليه بينما خرج باترسون من الباب الامامى . وكان باترسون يسير ايضا بسرعة متخطيا المكان الذى كانت تنمو عليه دائرة الأعشاب فيما سبق وحيث الازهار الزرقاء الرقيقة لشجرة الجاكاراندا قد رسمت اللون الوحيد على التراب الابيض الذى صعد الى سلاله الشرفه كانه امتداد لشاطئ مهبور .

وبينما كان يسير عبر الطريق الترابى المؤدى الى الطاحونه ، راحت الفتاة نادية ترقبسه من الشرفه

العلوية . . لقد كانت نادية تعرف السبب الذي جعل
باترسون يشعر بالقلق وهو أمر لم يكن يعرفه الولد .
اذ كانت قد وقفت لدقائق قليلة في منتصف الليل
بجوار باب باترسون لتتحدث للراديو الذي احتفظ به
بجوار سريره . ومن رانجون جاءت الأنباء في يادى
الأمر باللغة الانجليزية التي لا تفهمها الا بصعوبة
شديدة . ثم بعد ذلك جاءت باللغة البورمية الفصحى
التي كانت تعتبر غريبة أيضا وان كانت أقل غرابية
من الانجليزية . ولم تفهم أى شيء سوى أن الأصوات
كانت مليئة باليأس خاوية من الأمل . كما كانت تتكلم
عن أحداث رهيبة . وأدركت أن الحرب التي بدت حتى
تلك اللحظة بعيدة للغاية قد بدأت تقرب كثيرا منها .
كما أدركت أن الحرب قد تحدث تأثيرا ليس فقط على
شخصها وعلى تيوسنداي الذي لم يكن أمره يهمها وانما
وانما أيضا على باترسون الذي كان يشكل أهمية كبيرة
بالنسبة لها .

وبعد لحظات أدركت أن باترسون بدأ يجرى مهرولا

بسرعة .

الفصل الثاني

كانت الساعة قد جاوزت السادسة بقليل عندما شاهدت السيدة يتسبون المرتدية ملابس منكوشة وغير مهتمة ، الولد تيوسداي يجري على الطريق . كانت مشغولة بالعمل في العمل بالحديقة الأمامية الخاصة بشالبيه يتسبون . وكانت تضع نظارة ثقيلة مشمسة لئلا تخلف بخطاقي على أذنيها ، مما أعطى لعينيها طابع التركيز المثبت على نحو يكاد لا يهتبه .

وكان كل فرد في المدينة يعرف أن السيدة يتسبون مجنونة . . . ولذلك عندما شاهدتها الولد تذكر تلك الحقيقة عنها . فتوقف عن الجري . وتلاشت الابتسامة من على وجهه ، ولم تعد الابتسامة إلى وجهه

الا بعد أن فتح البوابة الصغيرة وبعده السير على مسر
الحديقة - وحتى ذلك الحين لم تكن إبتسامته تشبه
تلك الابتسامة التي أعطاها لباترسون ، كانت ابتسامة
باردة ومثبثة - لقد سبق له أن شاهد السيدة بتسون
من قبل -

فبدأت يوم منذ ستة أو سبعة شهور كان قد حضر
رسالة أخرى لبتسون قأخذته السيدة بتسون الى المطبخ
لأن السيد بتسون لم يكن موجودا هناك - وراحت
عنها البيضاوان اللتان ازدادتتا اتساعا بسبب
نضارتها ، تموجان هنا وهناك مثل الأزهار ، وظلت
محتفظة به طوال فترة ما بعد الظهر الحارة في المطبخ ،
الى ان عاد بتسون فقدم له مشروب عصير الفواكه وبعض
الكعك غير المخبز والذي يعلوه سكر مسحوق - وعند
ذلك الوقت وهو يخساف بعض الشيء من تلك العينين
المثرتين للمهشة الشبيهتين بالأزهار ، خصوصاً عندما
قالت له :

- من حسن حظ أختي باترسون أن يكون لديه
ولد ممتاز مثلك . . .

وبينما كانت تتحدث اليه تزايد شعوره بالغثيان
اكثر واكثر بسبب الكعب المقرح في الحلاوة .

ونادت مسز بتسون :

- جو ! الولد الخاص بالمستتر باترسيون !
تبوسداي :

وهكذا تادت بصوت مرتفع لكي يسمعا بتسون
الذي سرعان ما خرج عن القباليه ، مبتلثا أصمغ الراس
وقد احترق الجزء الأسفل من وجهه بسبب حرارة
الشمس .

وقال بتسون :

- ماذا تريد ؟

فأعطاه الولد الرسالة .

وتساءلت زوجته :

- ماذا في الأمر يا جو ؟

- لا شيء يتعلق بك ، لا تتدخل في الأمر :

فقلت :

- يا له من ولد لطيف عريف . . اليس كذلك
يا جو ؟ !

وشعر الولد بالبهجة عندما صرخ يتسبون في وجهه
مصدرا له الأوامر بالخروج .

ولكنه تسامى :

- هل لي أن أحصل على رد لو سمحت ؟

فقال يتسبون لزوجته :

- أحضري لي قبعتي بدلا من الوقوف عنصالك
هكذا !

ثم التفت الى الولد

وقال :

- ارجع من حيث أتيت قبل أن أقضى على تلك
الابتسامة التي تملو وجهك . وأنا مسوف أحضر
ولا داعي لأن تنتظرنى !

• نعم يا سيدي !

وبدا في الجري في الشارع • وعند المنعطف انتظر
للحظات لكي يشهد بنفسه خروج بتسون من البوابة •
والى ما وراء الأشجار بالشارع كانت توجد الأراضي
المنبسطة ، وبينما كان يرقب للحظات ، كان هناك
احساس بشيء ما غريب ، رغم أنه لم يتحرك أى شخص
آخر سواه • ان ارسال رسالة الى بتسون قبل الافطار
كان أمرا غريبا • وليس لهذا سوى معنى واحد : وهو
ان هناك شيء ما غريب للغاية يجري وراء الأفق • ولكن
ما هو ذلك الشيء • هذا هو ما لم يكن يعرفه ولكن من
المؤكد ان باترسون سيخبره في الوقت المناسب •

وبعد عشرين دقيقة كان بتسون جالسا في غرفة
المعيشة الخاصة بالمستر باترسون يتناول طعام الافطار
لقد عمل على مدى ثلاثين عاما في الفيار والحرارة وعلم
الارتياح الموجود بمكاتب السفن البخارية ، ليجد نفسه
في نهاية الأمر ولدى حلول لحظة التقاعد والتمسك في
مصيصة •

لقد أوقعته في مصيدة أداء الخدمة لفترات طويلة للغاية . وبنفس الطريقة المخادعة التي نصبت بها الحياة الشراك له لكي يقع في المصيدة حبيبا مع زوجته السيدة بتسون . إلا أنه لم يكن في أي وقت من الأوقات سعيد الحظ مثل باترسون الذي خرج من إنجلترا منذ فترة وجيزة . ومع ذلك عين مديرا . أما بتسون فلم يكن له مثل هذا الحظ ، وكذلك الحال بالنسبة لبورتمان .

كان بورتمان يشغل منصب نائب مدير طاحونة الأرز ، ورغم أنه لم يعين مديرا ، إلا أنه لم يكن تعيس الحظ تماما . لزوجته المدام بورتمان كانت امرأة جميلة وفاتنة ولها عن العمر ثلاثين عاما ، وكثيرا ما كان بتسون يرقبها في نادي السباحة . أما باترسون فلم يكن عضوا في ذلك النادي . وهذا هو الذي أدى إلى التقليل من مركزه الاجتماعي من وجهة نظر الناس . فعندما كان باترسون يرغب في السباحة فإنه كان يسبح في النهر . إذ كان يقول :

— أود أن أسبح في الماء وليس في الناس .

ولم يكن بورتسمان وزوجته يحيان باترسون بكل تأكيد . ولكن بتسون لم يكن واثقا من ذلك تماما .
لحقى اى مدينة صغيرة قد تنشأ المتاعب بسبب اظهار
مشاعر البغض نحو رجل ما صراحة . وقد عانى بتسون
طوال حياته باكملها من الخوف من اثاره المتاعب .
لأنشاكل المتعلقة بالعودة الى انجلترا قبل نشوب الحرب
ربما كانت ستجد حلا ولكن المتاعب اثرت ولم يعد
تسون وزوجته الى انجلترا منذ ذلك الحين .

ومنذ شهر ديسمبر اخذت الحرب فى الاقتراب
والاقتراب . . . مما أحدث تأثيرا حادا على الجزء الأوربي
بالمدينة . بما فيه من شاليهات بهيجة بيضاء وحمراء .
وبما فيه من ازهار وميادين ظليلة .

كانت الحرب آخذة فى الدخول البطيء مثلما كان
يجب . القبار الرمل طوال الصيف من اراضى السهول
المنبسطة لتجفف الأعشاب الموجودة بالحدائق الأنيقة .
لقد غادر معظم الأوربيين بالفعل المكان مع أطفالهم
وأولادهم . وأصبحت شاليهاتهم مغلقة . ولم يتبق

منهم سوى باترسون وبِتسون وزوجته وبورثمان وزوجته والمدام ماك ثايرن وابنتها والرائد برين سكرتير نادى السياحة . كما تبلى بالمستشفى الدكتور فيلدينج وبعض المرضى كما كان يوجد بالمستشفى أيضا . كالغويل وهو ضابط الاقليم حين كان مريضا . وكان هناك احتمال لأن ينقلوه بالطائرة من هاندالي .

وقال باترسون عقب مغادرة الولد للغرفة :

— لقد تحدثت مع فيلدينج تليفونيا الليلة الماضية . . وسوف نقادر جميعا هذا المكان فى صباح الغد . . لرانجون على وشك السقوط !

— يا الهى ! وماذا سنفعل ؟ .

لقد شعر بتسون بالصدمة ولكنه كان من الممتع أن يفكر فى عمل شئ بالاشتراك مع باترسون .

— سيقدار كالغويل بالطائرة . أما باقى مجموعتنا فتسافر بالطريق البرى . وأريد من كل فرد أن يحضر الى هنا فى الساعة الثانية عشرة . سأقدم لهم وجبة

غداء . ولسوف اطلعهم على خطف كالدويل . وخلال
الفترة المتبقية من اليوم فان على الجميع أن يجهزوا
أنفسهم ويستعدوا .

فتسأل بتسون :

— ماذا تعنى بقولك : كل فرد ؟

ورجع الولد الى الغرفة . وكان حجم البيض الذى
احضره صغيرا للغاية فآخذ بتسون ثلاث بيضات .

وقال باترسون :

— أنت وزوجتك بالطبع . وبورتمان وزوجته ،
والسيدة ماك ناثيرن وكوشى . والرائد برين على
ما اعتقد . فقد ذهب الباقون .

وداح باترسون يلتهم بيضة على بطة . اذ يست
له فجة كان لها مذاقا طيبا خاصا بالنسبة له . . لأنها
ربما تكون آخر بيضة يأكلها فى ذلك المكان .

وقال بتسون :

- ان هذا الأمر يتطلب قدرا من التفكير ، اذا يتبني
النظر اليه من جميع الجوانب .

- لقد تمت دراسة هذا الأمر من جميع الجوانب .
وكالتويل له درسه وأنا قد درستة . بل وظلت أعمق
النظر وأفكر بعق على مدى شهر !

وكانت تلك صفة أخرى من صفات باترسون :
وهي النفاذ الى الأمور مباشرة بكل وضوح وثقة . وقد
أدى هذا الى شعور بعض الناس بالضيق الشديد
نحوه .

ولال باترسون :

- وهو كذلك ، وهو كذلك ! .. ولكن كيف
نبدأ ؟

- سنذهب بالطريق الهري ، في سيارتين .

وراح باترسون يفكر في زوجته هدام باترسون التي
تنصرف كالطفلة عندما تكون مسافرة . ولم يتكلم .

- بورتمان لديه سيارته ، وسوف تستوعب

هذه السيارة أربعة أفراد ، وهم علي ما اعتقد :
بورتمان وزوجته ومدام مالك نانيرن وكوئي .

- نعم .. نعم أدرك ذلك !

- وبمقدور هنالك سيارتي .. السيارة البويك
ونفسهم : أنت وزوجتك مدام بتسون وكذلك الراحه
برين وأنا ، اي ستة أشخاص مع بعض .

وأدرك بتسون من خلال تدريبه في وظيفة الحفظ
في الرقم ونهائيق من الرقم الذي ذكره باترسون ونظر
في حدة الى المنضمة .

ولال :

- تعني ستة أفراد في سيارتك : $2 + 2 = 4$:
وليس ستة !

لقال باترسون .

- ستة أشخاص مع اضافة ذلك الولد هنالك
واخته ..

وهنا ظهرت الآثار البالغة على وجه بتسون حتى
أنه توقف عن تناول بيضته الثالثة وقال :

— والآن انتظر قليلا فذلك من شأنه أن يشير
المناعب !

وقال باترسون :

— ومن قال أن ذلك لن يشير المناعب ؟ أن المسألة
بأكملها غاية في الصعوبة . فاليابانيون قادمون
ولربما وصلوا الآن إلى منطقة إيراوادي السفلى !

قليل بتسون :

— يا الهي ! ربما يجيئون إلى هنا مستخدمين
النهر !

ونفض باترسون تاركا المائدة . وبينما كان
يسير عبر الغرفة أصبح من الواضح حتى بالنسبة
لبتسون أنه لم يعد هناك كلام آخر يقال .

وقال باترسون :

— الى اللقاء في تمام الساعة الثانية عشرة .

وتسألي بنسون .

— الى أين أنت ذاهب . . وماذا ستفعل ؟ .

لنضع بآنرسون الباب المؤدي الى الشرق السفلية
وصاح قائلا :

— انسى ذاهب الآن لكي أفجر علاحونة الأرض !

ولم يتكلم بنسون الجالس الى المنضدة ولأول مرة
في ذلك الصباح لم ينسم الولد الذي كان واقفا
حلفه . .

الفصل الثالث

وساءلت كوني مالك تاتون نفسها وهي في طريقها الى شماليه باترسون في تمام الساعة الثانية عشر الا الرابع : ترى ما هي الأمور التي تدور في ذهن باترسون ؟ . . . فهي لم تمنطق معرفة الأسباب التي دعت له لزوجيه الدعوة لها ولأهلها لتناول طعام الغداء عنده . لقد كانوا متأخرين بالفعل إلا أنها كانت تعرف أن ذلك هو أسلوب والدتها . إذ كانت تعتقد أن الحضور مبكرا يعتبر أمرا سيئا للغاية لأن ذلك يقلل من شأن الإنسان في نظر الآخرين .

كانت والدتها مرثدية ثوبا حريريا ذا لون بني فاتم . تمرق تماما تحت الذراعين بسبب كثرة العرق .

وكانت قد أصيبت من شأن ذلك الثوب باستخدام
قماش له لون بني فاتح نسبيا مما كان يعطى منظرا
سيئا كنا رفعت المدام ماك ناثرون ذراعها لأعلى أكثر
من اللازم . ولكنها كانت مصصة على عدم رفع ذراعها
أو أي شيء من هذا القبيل .

والسبب في عدم مقادرتها وكذلك ابنتها
كوني لبورما مع باقي الأوربيين هو المستر ماك ناثرون .
وكانت البدة ماك ناثرون تعتبر زوجها المستر ماك
ناثرون هو السبب الرئيسي في كل الأمور السيئة بما
في ذلك مسألة باترسون .

وقالت لابنتها :

— لم يكن هذا البحث على الإطلاق لو كان
والدك قد ظل على قيد الحياة .

فقلت الفناء :

— أظن أن الأمر يبدو في غاية الخطورة . . فقد
قيل لنا أن تكون جاهزين . .

ملقالت والدتها :

- اذا اخذ المستر باغرسون أى شيء بجدية لهذا
يعتبر تحولاً .

وهنا فى أواسط بورما كان المستر مالك فائرن
قد عاش وعمل ومات . ولو كان قد عمل فى اسكتلندا
لما أصبح الأمر مختلفا كثيرا ، الا أن المدام مالك فائرن
لم تكن تؤمن بهذا . اذ كانت تظن أن مميزاته قد
بختت فبعتها الى حد بعيد ، اذ كان ينبغي أن يشغل
منصب مأمور الاقليم وليس ذلك العمل التجارى الذى
قام به .

وكانت دائما ما تقول لكونى :

- لقد كان والدك رجلا عظيما . ولكنه لم يحصل
على ما يستحقه على الاخلاق :

ورفضت أن تغادر بورما وكانت تضع على القبر
فى يوم الأحد من كل اسبوع ازهارا جميلة ، الا أن
الازهار كانت تتعرض للتلغف التام فى خلال ساعة
واحدة بسبب الشمس الحارقة . وكانت تقول :

— هذا هو المكان الخاص بنا ا

وتذكرت الفتاة كيف انها قد تقابلت في لندن
في وكالة البواخر مع باترسون بطريق الصدفة البحتة
ذات يوم قبل تشوب الحرب . فاذا سمع شخصان كل
هاتهما الآخر وهو يستفسر عن الرحلات الى المدينة
البعيدة الواقعة على النهر في ايرلندا فانهما لن يملكا
سوى الضحك في دهشة من بعضهما البعض قبل ان
يبادرا الى التكلم سويا . لقد كانت بداية سعيدة .
كانت هي في التاسعة عشر من عمرها وكانت قد
انتهت من دراستها في انجلترا . اما باترسون فكان
في الثالثة والعشرين من عمره . وكان له مظهر الفاتح
الغازي من وجهة نظرها .

كانت تتذكر بورما : المدينة الصغيرة والسفن
القادمة من رانجسون والأزهار والحرارة والغبار .
وكانت عندها لها وهي نصف كل شيء لباترسون .

وفي تلك اللحظة اشارت الأم بيدها نحو شخص ما
خارج من حدائق النادي الانجليزي .

ونادت :

ـ يا آنسة روس . يا آنسة روس ! هل
ستبيئين أيضا ؟

فاجابت الأنسة روس :

ـ الى اين . . ١٤

وكانت الأنسة روس قد أصبحت يودية وأصبح
لها وجه رقيق مستغرق في التفكير .

ـ الى منزل المستر باترسون . فتنحن جميعا
ذاهبون اليه . لقد اعتقدت انك تعرفين !

ـ لا . لا أعرف ذلك .

ـ هناك كلام مفاده انه سيتم ابعادنا من هنا !

ـ نعم . لقد سمعت عن ذلك .

ـ اذن فسوف نقابلك هناك .

فقالت الأنسة روس :

- لا : لأننى سأكون بالمستشفى .

وما أن استمررتا فى طريقهما عقب ترك الأنسة روس حتى استسلمت كوفى للمزيد من الأفكار القليلة عن باترسون . لقد وصل إلى بورما قبل أن تسافر هي بأربعة شهور تقريبا . وهي قد أرسلت عدة خطابات لوالدتها عن ذلك الأمر . وما قالتها فى خطاباتها كان صادقا وحقيقيا . ومع ذلك فهو كلام لم يكن حقيقيا فى بعض النواحي . لما ذكرته عن مشاعرها تجاه باترسون كان حقيقيا بالفعل . لما قالتها عن مشاعره المفترضة ازاءها فكان مليئا بالكاذيب المدهشة . ولم يكن من المهم أنها كانت تصدق تلك الأكاذيب ولكن المشكلة أن والدتها قد نظرت إلى تلك الأكاذيب على أنها حقائق أيضا .

وذلك قد أوضح السبب فى معيشتها لمقابلتها فى رانجون . وتذكرت شيئا ما أدى إلى ظهور القضب الشديده على وجهه . ففقد أدرك أن الموقف قد أعدت الترتيبات له من قبل . كما أدرك أنه قد وقع فى

المصيدة . ووجد نفسه واقعا في حبائل الخيل المخادعة
التي نصبتها والدتها : فهو مدير وهو رجل ثرى وله
شاليه كبير وأمامه الفرص العديدة للتقدم أكثر في
الحياة . ولم يدرك أنها هي نفسها التي تسببت في كل
شيء من خلال خطاياتها . فهو قد جاء الى رانجون لا لشيء
الا لأنه كان يشعر بالشفقة عليها . وفي خلال لحظات
قليلة تلاشى كل السحر والجمال الذي يكتنف الموقف .
وأدركت هي فجأة أن كل كذبتها قد أتت بنتيجة عكسية
لما كانت تريده . وأدركت أن ياترسون لم يكن واقعا
في حبها رغم أن والدتها كانت تعتقد أنه واقع في
غرامها .

وفي خلال أيام قليلة شعرت كأنها غير عائدة
للأماكن التي تعرقها جيدا غير عائدة الى مدينة صغيرة
ملينة بالأزهار المحببة للنفس . وانما عائدة الى أرض
غريبة ناعسة تحت الضوء الشديد ومغطاة بالتراب
القادم من السهل الخارجي .

كان ذهنها مليئا بهذه الأفكار عندما وصلت مع
أمها الى شاليه ياترسون .

وعندئذ قالت أمها :

— تلك الفتاة المثيرة للقرف موجهة !

فنظرت كوني لأعلى فشاهدت نادبة وهي تسير
في الجزء الخلفي من الشالبيه ، وكانت تحمل فوق رأسها
سلة منبسطة مستديرة مملوءة بفواكه البابايا والبرتقال
وغير ذلك من الفواكه الأخرى كما لو كانت قد جمعت
تلك الفواكه من أجل طعام الغداء . وفي نفس اللحظة
ظهر هيكلان مرتديان ثيابا بيضاء .

فقالت السيدة ماك ناثيرن :

— نشكر الله لأن بورتمان وزوجته موجودان

هنا . . . !

الفصل الرابع

بينما كان بورتمان يسير وراء زوجته ووراء مدام ماك ناثيرن وابتنتها لدى الدخول الى غرفة الجلوس الخاصة بالمستر باترسون حيث كان يجلس هناك بالفعل المستر بنسون وزوجته ، فانه نظر لأعلى نحو النوافذ ليرى ما اذا كان باترسون قد خلق أية ستائر هناك . وشاهد زوجته وهي تنظر أيضا لأعلى . الا انه لم تكن هناك أية ستائر .

وكان بورتمان قد أمضى الصباح بأكمله في الطاعونة مع باترسون . وكانت المتفجرات قد وضعت ، وأصبح المكان بأكمله جاهزا للنسف والتفجير . وكان الموقف غاية في الصعوبة . إذ كان نصف الحسمبال

البورمين قد تركوا العمل بالفعل وأصبح من المقرر أن
يترك النصف الباقي من العمال العمل بحلول منتصف
الليل .

وتنظر بورتمان من النافذة إلى الخيثار المنتشر
بالخارج . كم كان المظهر مشيراً للخزي والعار .
فلا حديقة . ولا ستائر . ولكن باترسون كان دائماً
على ذلك النحر . إذ كان باترسون على استعداد أن يفعل
أى شئ ضد القوانين واللوائح . مثال ذلك الفئسة
البورمية . حسناً . شكراً الله على أنهم سيقادرون هذا
المكان . . ولكن تكون هناك نهاية لذلك . وبعدئذ كان
هناك موضوع الأنسة هالك تأثير .

لقد وجد أن من الصعب عليه أن يتقبل سسلوك
باترسون ونصرفاته . ولقد اعتقد في بعض الأحيان أن
الأنسة هالك تأثير تعتبر سعيدة الخط لأنها هربت من
ذلك الرجل . وكان واثقاً تماماً من شئ واحد : وهو أن
باترسون لم يكن ليستمر طويلاً في الهند . وفي لحظات
الشعور بخيبة الأمل البالغة المرارة لدى تعيين باترسون

مديروا بدلاً منه ، فان بورتمان كان يتذكر دائماً كيف
أنه قد ترك وراءه سمعة حسنة في كالكثا . .
اذ كان لا يزال عضواً في نادي رنجال بيتما باترسون
لم يكن عضواً في ذلك النادي .

الا أن بورتمان كان يعتقد أنه ينبغي عليه أن يكون
منصفاً فالرجل كان عاملاً ماهراً وباستطاعته انجاز
الأعمال على نحو جيد - بل وباستطاعته تدبير الطاحونة
ونسفها بطريقة سليمة . كما أن النتائج التي أعطتها
الطاحونة كانت دائماً مرضية وكان الناس يشعرون
بالحب والموودة نحوه . بل وكان قد بدأ في ادخال
التعديلات على الطرق الموجودة في أراضي الشركة .
ومع ذلك لم يستطع بورتمان أن يشعر بالحب نحوه .
بل ولم يشعر بالرضا على الإطلاق ازاء خطته التي وضعها
والرامية الى مغادرة ذلك المكان .

وضوال الصباح كانت تراوده فكرة أن يفود
السيارة متجهاً الى مايندالاى ويخرج منها مسافراً
بالطائرة . فهو وزوجته كان باستطاعتها الوصول الى

كذلكنا في خلال خمس أو ست ساعات ، ولكن الشيء
الوحيد الذي منعه من ذلك هو احتمال أن يقوم
اليابانيون بالهجوم على هاندالاي عقب الاستيلاء على
وانجون ، مما يمتد معه مغادرة هاندالاي إلى أي مكان
آخر .

وحول يورتشان نظرته عن المأهدة في الوقت
الثلاث لم يسمع صوت الولد الخاص بباترسون معلنا أن
طعام الغداء أصبح جاهزا ، وبشهادته وأقوالها عند
الباب .

ولدى رؤيته لتيوسداي لم يكن يعرف ما إذا كان
عليه أن يضحك أم يغضب ، إذ كان تيوسداي يقف
مبتسما عند الباب وقد ارتدى أكثر قمصان باترسون
بياضا . وكان القميص متدليا فوق جسمه بأكمله .

ووقف باترسون عند صدر المنضدة في غرفة
الطعام للمحطات وراح يرتب الضيوف بينما وقف
تيوسداي خلف كرسيه .

وقال باترسون :



الاجتماع عند باترسون

مـ مدام بورتمان تجلس هنا على يميني * ويشعرون
يجلس هنا بعدك يا كوني ا

وراح كيوسيداي يتحرك جيئة وذهابا من المنضدة
واليها مسكا بالكراسي * اذ كان من الصعب بعض
الشيء ترتيب الناس مع وجسود ثلاثة رجال وأربعة
سيدات * وفتح عن الترتيب أن أصبحت مدام يتسبون
جالسة في مواجهة ياترسون عند الطرف اليسار من
المنضدة *

وانتظر ياترسون الى أن تجلس كل فرد على مقعده
ثم قال :

مـ لقد اعتقدت بأنه ينبغي علينا تناول وجبة
جيدة قبل أن نرسل * فحربما تكون هذه هي آخر وجبة
لنا هنا ! -

ونظرت مدام مالك ناثيرن في عمق الى الأزهار وقد
قررت ألا تتكلم اللهم إلا اذا اضطرت لذلك *
وقد دهشت عندما سمعت كوني تقول :

— ترى ما هي الفترة التي مستغرقها هذا
المسوار ؟ . . ثلاثة أيام ؟ .

فقال باترسون :

— أطول من ذلك قليلا على ما اعتقد !

ولم تتحدث كوني بعد ذلك مرة أخرى وشعرت
بالبهجة بعض الشيء ، فهذا معناه أنها ستظل على مقربة
من باترسون لمدة ثلاثة أيام أو أكثر . وهذه فرصة لم
تنتج لها منذ أن كانت بانجلترا .

وضحكت مدام باترسون

وقالت :

— يا جو انظر الى ذلك الولد . يا مستر باترسون
ان ذلك الولد التابع لك لطيف وقريف . يا جو انظر
اليه !

وكان تمسداى يقدم الحساء للعاشرين بسرعة
كبيرة .

- يا ميسنر باترسون ، أعتقد أن ذلك الولد هدية
من عند الله . هل هو الذي أعد الحساء بنفسه ؟

- نعم ، هو الذي أعد الحساء .

- أصحيح ذلك ؟ أنه حساء رائع !

ونظر بتسون إليها كما لو أنها مخلوق ضئيل
يريد أن يسحقه بين أصابعه القليلة .

وقالت مدام بتسون :

- انه شقيق البنت . اليس كذلك ؟

واضطر بتسون أن يضع حدا لذلك .

فقال بصوت مرتفع :

- هل فعلت أي شيء بالنسبة للجنود ؟

فقال باترسون :

- لقد وضعت الترتيبات لكافة الأمور !

ويمكن للسيارتين أن تحملا ٣٢ جالوتا وسوف نضع

٤ جالوتا أخرى في « جراكز » .

وانتزع نيوستداى سبدادة زجاجة قبيبة بصوت
مرتفع للغاية مما جعل مدام مالك نائيرن تفلز من مكانها
هالعا وقالت :

- لقد اعتقدت اننى سمعت طلاقة من هندقية !

فقال مدام بيسون :

- لا شيء سوى ذلك الولد العزيز ..

وما أن بدأت مدام مالك نائيرن فى الشكوى حتى

أصبح من الصعب عليها أن تتوقف

فتسألت :

- متى ينبغي علينا أن نبدا ؟

فقال باترسون :

- عقب منتصف الليل بقليل !

- أليس هذا الوقت متأخرا بعض الشيء ؟

- لا اظن أنه سيكون لديكم الكثير من الوقت .

اذ ينبغي عليكم تعبئة أمتعكم وربط الأشياء الخاصة
بكم ويلبقي علينا أن نحرق أوراقنا ومبنداتنا بالاضافة
الى نصف الطاحونة ! .

— هل سيجيء معنا اى شخص آخر ؟ فهناك
الآنسة روس .

— لا اعتقد ان الآنسة روس ستجىء معنا .

— وماذا عني الدكتور فيلدينج وتلك الفتاة ؟ .

— ساقابل فيلدينج بعد ظهر هذا اليوم .

وقال بورتمان :

— لازلت اعتقد انه من الملائم أن نذهب الى

ماندالاي .

فرجع باترسون نظارته وقال :

— حاول ذلك كما تشاء . .

وراحوا يحسبون السبيل . . وعندما نفذت اشعة

الشمس من خلال الخافذة اكتسب البهيم شيئا من اللون
الذهبي للشمس .

وقال بورتمان لنفسه :

— حقا لقد كان الغداء رائعا للغاية - والحساء كان
أكثر من رائع وكذلك كان السمك . وعندما وصلت
أصباغ الدواجن المحمرة . لم تكن ناعمة مثل تلك
الدواجن التي كان يقدمها له دائما الولد النايح له وأنا
كأنت ليثة وبيضاء اللون . وربما كانت معظم المتاجرات
التي نشأت بينه وبين زوجته بسبب طهي الدواجن
بطريقة رديئة وليس بسبب أي شيء آخر . اللهم
باستثناء باترسون نفسه . لم يحدث أن طهت زوجته
المحتاج بشكل سليم على الإطلاق . وقد أسعده أنها لم
تكن تنظر إليه وأنا كانت مستندة بذراعها لتتحدث
مع الأنسة مالك نايرن .

وتساءلت :

— ما هي الملابس التي ستأخذينها معك يا كوني ؟
فقال باترسون :

— خذي كمية ضخمة من الملابس بقدر المستطاع .
خذي ملابس ثقيلة اذا استطعت . وربما تكون الليال
باردة بعض الشيء .

وشعر بالضيق عندما أدرك أن امرأة مثل مدام
بورتمان قد سألت أسئلة غبية عن الملابس في دولة قد
عرفتها جيدا على مدى سنوات عديدة .

وبدا النبذ يحدث بعض التأثير عليه . إذ جعله
يشعر بمزيد من العطف بعض الشيء نحو الستة أشخاص
الموجودين معه وفتح تيوسداي الزجاجة الثانية .
واعتقد بأنهم أن يثسبون الذي ربما كان يكرهه أكثر
من بورتمان ، وأن المدام هالك ناثيرن الأقل غباء من مدام
بورتمان . ومام ينسبون المسكينة المسخيفة التي ربما
كانت أقل سخافة مما يعتقد الناس . . . لم يكونوا في
حقيقة الأمر أناسا سيئين للغاية . وشعر تحوهم جميعا
بالاحترام .

وقال :

— يحسن بنا أن نضع الحطة !

فقالت مدام مالك ناثين :

- حسنا . أمل ان نذهب جميعا سويا . . فقه
ننجز كل شيء على خير وجه .

وراح باترسون يقدم التبيذ مرة أخرى واعتفت
مدام بورتمان أن كل شيء رائع للغاية ، وشعرت بأنها
ترغب في معرفة جوانب شخصية باترسون على نحو
أفضل .

وقال باترسون :

- لا توجد وسيلة للخروج من الدولة من جهة
الشمال سوى باستخدام الطريق البري .

وقال بتسون :

- موافقون !

فقال بورتمان :

- ار بطريق الجو !

— لدينا سيارتان : سيارتي وسيارة بورتمان .
وسيارتي لها مقطورة .

وكانت مدام يتسوق تنظر الى تيو ممدى الذى كان
يقف مبتسما فى أحد الأركان . وقد بدا أنه لا يوجد
هناك أى شيء . يمكنه أن يحطم تلك الابتسامة . وحاولت
مدام يتسوق أن تعطى إشارة الى جو ولكن يتسوق كان
ينظر الى باترسون وكان يعتقد أنه ستنشأ مشاجرة .

وقال باترسون :

— اعتقد أنه بإمكاننا أن نشهد مقطورة فى عربة
بورتمان أيضا . . فإذا استطعنا ذلك سنضع البتزين فى
مقطورة ونضع الطعام والماء فى المقطورة الأخرى . واعتقد
أن المستر بورتمان وزوجته والدام ماك ناثيرن وكوني
يمكنهم الذهاب بسيارة المستر بورتمان .

ولم تكن المدام ماك ناثيرن تحب أن يشير أحد الى
ابتسماها ذاكرا الاسم الأول لها ، الا أن هذا التصرف كان
أمرا متوقعا من جانب باترسون . فهو يريد أن يرفع

المكلفة ويبتعد عن الرسميات ولكنسه في نفس الوقت
يريد أن يكون قاسيا وكان ذلك هو أسلوب باترسون
في التعامل مع الناس .

- وذلك معناه أن يبقى المستر سسون وزوجته
وأنا مع الرائد برين -

فتساءلت هلام بورتمان :

- وأين الرائد ؟ -

- لقد بعث برساله يقول فيها أنه قد ذهب الى
المستشفى - ويبدو أن هناك فرصة في احتمال مجيء
الآنسة أليسون .

فقال بشون :

- وفي هذه الحالة كم سيحصل عددنا ؟

فقال باترسون :

- إذا جاءت الآنسة أليسون سيحصل العدد الى
أحد عشر فردا -

— أحد عشر فردا ؟ —

وحتى تأثير صوت المدام بورتمان لم يزعج مدام
بتسون التي كانت لا تزال تنظر في إعجاب إلى ذلك
الولد اللطيف .

وقال بورتمان :

— أحد عشر ؟ .. انني لا أعلم ..

وقالت مدام مالك نائرون :

— أعتقد أن المجموع تسعة ..

فقال باترسون :

— لقد نسبت تيوسداي وشقيقتها ..

وقال بورتمان :

— حسنا . يا الهي !

وكان صوته بطيئا للغاية حتى أنه ضاع بعد لحظات
قليلة بسبب الأصوات التي صدرت عن الجميع في

معاونتهم لتتكلّم في أن واحد . ولم يكن بالمستطاع
سماع أحد منهم باستثناء باترسون

الذي قال :

— لا تقلقوا . فالسيارة البويك ستأخذ سبعة +

فقال بورتمان في حصة :

— لا أعتقد أنك تفهم الموقف تمام الفهم . فانت اذا
بدأت في أخذ اثنين من هؤلاء الناس فهذا معناه أنك
يمكن أن تأخذ ١٢ فردا لأننا في هذه الحالة قد نأخذ
الولد التابع لنا .

— خذ معك اذا كنت ترغب في ذلك .

وأصبحت مدام مالك نائيرن بالصحة . لم يكن هناك
أى شيء على الإطلاق يمكنها قوله . وفي خلال لحظات
قليلة ألزم كل فرد بالصمت الشديد أيضا .

فقال باترسون :

— لعلة من المناسب أن تذهب الى الغرفة الأخرى
لتناول القهوة !

واعتقدت مدام هالك تأييد أن ذلك التصرف كان فيه
شئ من الجبن بعض الشيء . وبعدئذ غادروا غرفة الطعام
وذهبوا الى الظل التسماني للغرفة الأخرى حيث راح
بورتسمان ينظر مرة أخرى الى النوافذ الخالية من
الستائر .

ثم قالت مدام بتسويء بصوت مرتفع :

— هل قال شخص ما أن ذلك الولد الظريف
سيعبى معنا أيضا ؟ يا لها من فكاهة !

وذهب بورتسمان الى الشاذلة حيث انضمت المدام
بورتسمان اليه .

وقالت :

— انه لأمر شنيع عريع !

— أعرف ذلك . ولكن ماذا يمكنك أن تقولى ؟

وتصاعد القضب في داخلها فجأة ولكنها شمرت
بعد ذلك بالبهجة ، عندما أحضر تيوسداي القهوة
مبتسما .

وقال باترسون :

- هل حصل كل فرد على قهوته ؟ . اذن . .
تفضلوا بالجلوس لو سمحتم ! .

فقال بتسون :

- هل ن أن أسأل سؤالا ؟ .

وقام باترسون بوضع قدر من السكر في قهوته
وداح يرقبه الى أن أصبح بني اللون . واعتقد بورتمان
ان هذا كان هو الشرجار ، وأحس ببعض الشفقة
والمشاعر الودية تجاه بتسون العجوز على الأقل . لقد
كان قظا بالطبع : فهو لم يكن لديه رغبة على الإطلاق .
إلا انه كان شجاعا .

وقال باترسون :

- ما هذا ؟

- هل تعتقد أنه من الصواب أن تأخذ معنا هؤلاء المسافرين الإضافيين ؟

- نعم !

- حسنا . اعتقد أن ذلك خطأ !

فقال باترسون :

- أنت تعرف ماذا يمكنك أن تفعل إذا ذلك .

فقال بورتمان :

- حسنا : وذلك هو ما كنت على وشك أن أقوله .

وكانت تعليقات باترسون قد شجعتة .

فقال :

- لا يوجد سبب يدعو إلى أن نساfer سوييا .

وللذا لا نساfer منفصلين في سيارتين ؟ لا يوجد

سبب يدعونا إلى أن نساfer سوييا إذا كان بعضنا يشعر

أنه من الأفضل ألا نساfer سوييا !

- هناك أسباب كثيرة تدعونا لأن نساfer سوييا .

١ - اذكر لي سببا على سبيل المثال .

٢ - اذا سافرنا سويا فلدينا ميزة تواجه السيارتين
في آن واحد في حالة حدوث أى عرقلة . واذا سافرنا
سويا سيكون لدينا المزيد من الرجال . واذا اقتضت
الضرورة يمكننا أن نترك سيارة ونواصل السفر
بالسيارة الأخرى .

فقال بورتمان :

٣ - ليس هذا سببا يجعلك تأخذ هذين الشخصين
الاضاليتين . بل ان هذا سبب يدعوك الى اتخاذ الاجراء
العكسي .

فقال باترسون :

٤ - باستطاعتها ان يطهيا الطعام .

٥ - أوه ، حسنا ، بالطبع .

٦ - وقد تستغرق منا هذه الرحلة ثلاثة اسابيع .

فمن يدرى ؟ . وباستطاعتنا ان نقوم بها في شيء من

الراحة . فالولد يمكنه أن يطبخ الطعام وكذلك يمكن
للفتاة أن تطهى الطعام . كما أنهما يعرفان معالم البلاد
جيدا .

- أنت توضح ذلك .

وقالت مدام بورتسان :

- حسنا . بالطبع إذا كان ذلك هو السبب في
مجيئها معا فإن الأمر يكون مختلفا بعض الشيء .

ثم ابتسمت وهي تنظر نظرة مباشرة الى
باترسون .

وقالت مدام مالك تانين :

- في أي شيء سنعلم ؟ وهل نريد مني أن أحضر
علايات ؟

وبدا الأمر وكان فكرة السفر في راحة ويسر قد
جعلتها تتخذ الطابع العملي فجأة .

فقال باترسون :

— سوف قنّام في خيام . . ولقد قام الكاتب
بكتابة قوائم بالأشياء المطلوبة على الآلة الكاتبة وستوزع
عليكم هذه القوائم لكي تحضروا الأشياء المطلوبة .
وعليك بالالتزام بالقائمة ولا تحضري معك كافة أنواع
الأشياء الصغيرة !

وراح بورتمان يفكر : لا يمكن للمرء إلا أن يعجب
بذلك الرجل . إذ بدا وكأنه قد فكر في كافة الأشياء .
وعلى نحو ما بالطبع لم تكن فكرة احضار الولد وشقيقته
أمرا سيئا . واعطاء البقشيش من وقت لآخر قد يكون
مفيدا . والولد يستدوره أن يطهى الطعام بكل تأكيد ،
ومهما فكر المرء في أي شيء آخر فإنه يضطر للاعتراف
بأن الفتاة كانت جميلة مثل العديد من الفتيات
الأخريات . وربما ينتج عن ذلك المزيد من وسائل
الراحة الإضافية .

وقال بانرسون :

— السيارة موجودة هنا الآن ! . . وسيطوم أحد
السائقين العاملين بالطاحونة بتوصيلكم إلى منازلكم ! .

قال بتسون :

- توصيلنا على ما اعتقد .

- انها يمكنها ان تأخذك أنت وكوني ايضا يا مدام
مالك تأيدين . ويمكنه أن ينظر لك حين أن تنتهي من حزم
وربط الأشياء وبعدها يعود ومع الأشياء الخاصة بكم .

وبعد لحظات ولدى خروجهم جميعا من غرفة الجلوس
الى الشرفة ألقت مدام بورتمان نظرة للخلف لأخر مرة
على النوافذ التي لن تعلق عليها على الإطلاق الستائر
التي كثيرا ما فكرت هي وبورتمان في الحصول عليها من
كالكتا .

وفي غرفة الجلوس بدأ الولد يجمع بنقرده فتاجين
القهوة . وقد علت وجهه ابتسامته المعهودة ، وكان يشعر
بالخلاء وهو يرتدى قميص باترسون ، ومن مكان ما بعيد
يقع الى ما وراء الصاحونة والنهر والنسجل تراسى صوت
التنجيرات الأولى ، ولم نزد عن كونها أسواقا منخفضة
في الهواء الساخن مثل الرعد المتكرر .

وفي الخارج شعرت مدام بورتمان بحرارة الجو

في ذلك اليوم وانحست لرجاء يأتيها ترغيب في الذهاب إلى
النادي لكي تتوجه إلى حمام السباحة المحاط بالأشجار .
وكان يتسبون وزوجته ومدام مالك تأثرون وابنتها قد
دخلوا في السيارة بالفعل .

**وقالت مدام بورتلمان في اللحظة المناسبة بصوت
مرتفع :**

— هل يوجد مكان في السيارة ؟ أعتقد أنني أريد
أن استقل السيارة معكم وأنزل عند النادي حيث أرغب
في السباحة . انها آخر مرة ! .

الفصل الخامس

وبينما كانت مقام بورتمان تسبح بعفوها في حمام السباحة راحت تسترجع في ذهنها باترسون وحفلة الضياء . لقد انتهى كل شيء تقريبا . فهذه هي آخر مرة تذهب فيها الى النادي في فترة ما بعد الظهر . ففي خلال يوم آخر سيقطعون مسافة مائة ميل في داخل البلاد . وفي خلال يومين أو ثلاثة أيام سيصبحون في الهند . وفي غضون اسبوع سيتفرق شملهم . ولن تتمكن هي على الاطلاق من مشاهدة باترسون مرة أخرى . كم سيصبح الأمر مختلفا !

وفي صالة المدخل الخاصة بالنادي سمعت صوت الخادمة ثم صوت اقدامها وهي تجرى مهرولة فنظرت عبر

بالصالة فمشاهدتها وهي تجري بسرعة الى ما وراء الأضواء
وبعدت شاهدت بانرسون يهرول وراءها على مسافة
عشرين قدم تقريبا .

وقال :

— يا مدام بورتمان ، لقد جئت لكي أعود بك من
هنا !

— هذا حسن . ولكنني غير مستعدة للعودة الآن !

فقال :

— أعتقد أنه من الأفضل لك أن ترتدي ملابسك !

فقالت :

— ليس من حقك الدخول الى النادي . فانت لست
عضوا بالنادي !

— لقد جئت من المستشفى . ولا توجد أي
تأكيدات . ولقد وعدت بورتمان بأنني سأمر عليك
وأعود بك .

- لقد وصلت الى هنا منذ فترة قصيرة للغاية .
- سانتظرك في السيارة .
- ليس من حَقِّك المجيء الى هنا . ومن الممكن
الالقاء بك الى خارج النادي ! .

فقال :

- هذا هو اليوم الذي سيتم فيه طردنا جميعا .

فقالت :

- لقد كنت أشعر دائما بالاشفاق والأسف من
اجلك لأنك لست عضوا بالنادي . ولكنتك الآن تعتبر
ضييفي . سأخرج وسوف نتناول سـمـويا قهـرا من
الشاي ! .

- اعتقده انه من الأفضل أن نعود .
- وبدأت تتسلق حارِجة من الماء وأخذت القوطة التي
لحضرها لها .

ولما :

مما تنتظر في السيارة .

وتساءلت :

- هل هناك ما يدعو الى هذا الاسراع الرهيب ؟ ..
اننى أشعر بالعطش . وسوف نتناول الشاي سويا !

ولم يتكلم . وفجأة نادى الخدام بورتمان على المرأة
البورمية قائلة لها :

- احضرى شايًا لشخصين . بسرعة !
وبدأت تجفف كتفيتها بالقوطة وهي تشعر في
نفس الوقت بحرارة الشمس تحرقهما .
وقالت :

- انها آخر مرة أسنجم فيها هنا . . . وانت لا تبغى
مشاعر ودية للغاية ازاء ذلك الأمر . . . يمكن لنا ان نكون
اصدقاء ولا حاجة بنا لان نكون تعساء الى هذا الحد !

ونشرت القوطة على العشب فيما بين حمام السباحة
والأزهار ثم استلقت على الأرض لكي يجف جسمها
تحت وهج الشمس . وتساءلت :

- هل مشاهدك أثناء الرحلة أكثر من مشاهدتي
لك الآن ؟ . فالتاس دائما يتشاجرون أثناء الرحلات .
أليس كذلك ؟ !

- لا أعرف !

- ما هي الفترة الزمنية التي ستمفرقها
الرحلة ؟

- لو امتثلت للأوامر الصادرة لك ستستغرق
الرحلة ستة أو سبعة أيام .

وأحضرت المرأة البيرومية الشاي ووضعته على
المنضدة تحت الشمسية ، ولدى انصرافها حدث انفجار
قصير فجالي ترامي من وراء حافة الغاية الواقعة بجدار
النهر ، فأطلقت صرخة وبدأت تجري مذعورة وخائفة .

فقالت هدام بورتشان :

- يبدو ان كل شخص قد أصبح قلقا مضطربا !

وادركت فجأة ان المرأة كانت تفر مولية الأدبار .

وبدا على المكان بأكمله أنه قد أصبح خاويًا ، وظهر دخان الانفجار فوق الأشجار للحظات ثم تبدد متبعثرًا ، وحظر على ذهنها أن الشمس ستبدأ في التوازي وراء الأفق خلال ساعة .

كان الجو رائعًا في الامسيات بجوار حمام السباحة وفوق المشرب في الظلام الساخن وتحت الأشجار الفواحة بالمطر حيث كانت تشاهد الأنوار والنجوم منعكسة على صفحة الماء . دفجأة كرهت فكرة مغادرة هذه البلاد ، وانتهاء الحفلات والأحاديث الممتعة بجوار حمام السباحة في الوقت الذي يكون فيه بورتمان مازال يؤدي عمله في العلاحونة . وفوق كل شيء كرهت فكرة أنها اقتقدت شيئًا ما مع باترسون . وكان الأمر سيصبح طريعا لو أنها لعبت مع شخص من المقترض فيها أنها تكرمه ، ولو أنها تمكنت من انتزاع قدر من احترام الذات البغيض لدى المستر باترسون ، ولو أنها وجدت فيه - على سبيل التسلية - بعض الأشياء التي اقتقدتها في بورتمان الذي كان منضبطا للغاية بحيث لا يمكنه تحقيق الاثارة أو التجاح -

وتساءلت :

- ولماذا لا تستحم في حمام السياحة الآن ؟
- ينبغي علي أن أوصلك إلى بيتك وبعدئذ أذهب إلى المستشفى مرة أخرى ثم أشرف على تحميل السيارات . فلا يوجد هناك متسع من الوقت !
- أوه ! تلك المستشفى . هل سيجيء فيلدينج ؟
- لا . .
- وهل تلك الفتاة المريضة ستجيء . .
- ما اسمها ؟ . . هل تسمى أليسون ؟
- إنها لا تستطيع اتخاذ قرار في هذا الشأن .
- السبب في ذلك أنها واقعة في الغرام والحب مع فيلدينج .
- أهذا هو السبب ؟ لم أكن أعرف ذلك .

ولنضت عدام بورتمان من الاستلقاء وجلست

وقالت :

- أوه ! .. هؤلاء الفتيات .. هؤلاء الفتيات
الشبه بفضاوات .. اننى أكره الفتيات بالفصل .
فألهند ليست على هذا النحو !

فقال :

- لقد حان الوقت لأن تذهب .
ونهض واقفا .

وفال لها :

- سانتظرك فى السيارة .
وبدا فى السير ببطء خارجا من النادي ..

وعندما انطلق الرائد يرين بدراجته من قاذى
السباحة الى شاليه باترسون قبل منتصف الليل بقليل
كانت الانفجارات مازالت تدوى فى جميع أرجاء المدينة ،
مما كان ينير الشوارع بل وينير فى بعض الأحيان

الأزهار الناصعة التي كانت تغطي كافة أسطح التلاليات
تقريبا .

وأخذ الرائد يفكر : ، لم تكن تلك الليلة ملائمة
لمغادرة بورما ، ، وراح يحوب يدراجته بدون أضواء
في الشوارع التي تكاد تكون خالية عن الناس ، فشمع
بالوحدة الصغيرة عقب الأعمال الصعبة بالمستشفى .
وخطر على ذهنه أنه لا يشبه أولئك الناس الأغنياء من
أعمال بورنمان وباترسون الذين يحوبون كافة الأماكن
بالسيارات . وخطر على ذهنه أنه مازال رجلا تابعيا
للجيش متقاعدا وغير متزوج . ولقد ظل بدون زواج
لأنه لم يكن يحب النساء . والمرأة الوحيدة التي أعجب
بها إعجابا حقيقيا هي الأنسة روس . وكان قد تحدث
إليها في ذلك اليوم بالمستشفى حيث كانت قد طلبت
لبضعة أسابيع تساعد فيلدينج . كان فيلدينج زميلا
ممتازا . ولكن لا هو ولا الرائد تمكنا من اقناع الأنسة
روس بالخروج من البلاد . ومن بين جميع النساء
اللاتي عرفهن في بورما ، وجد أنها هي وحدها التي
حافظت على نظافتها - نظافة الروح ونظافة القلب . .

وهي قد حصلت على كل هذا من البوذية . وكانت حياتها قد امتلأت بالتعود العمل العظيم على تقديم العون والخدمات . وهي كثيرا ما تحدثت مع برين في نادي السباحة عن بورما والانجليز وعن عقيدتها . بل وكانت تقنع باعتناق البوذية فيما عدا أنه لو فعل ذلك لما تمكن من الاحتفال بمنصبه كسكرتير لنادي السباحة .

وبينما كان يتجه بدراجته تحت الظلام المحموم الملتهب الى شاليه باترسون هستبعا للاتلجارات ومكرا في الأنسة روس بدأ يشعر بالقلق والضيق . فكالدويل قد ذهب وأصبح من المقرر عدم مقابلة فيلدينج أو الأنسة روس للبلاد . كما أن الأنسة اليسون لم تستطع اتخاذ قرار في هذا الشأن . فلقد كانت نصف دماؤها انجليزية والتصف الآخر بورمية وعند هذه اللحظة الحاسية وجدت حياتها متقلبة بين الشرق والغرب . وكان هذا يعني أنه ينبغي عليه وعلى باترسون أن يتأكدوا من موافقها حتى آخر لحظة لدى خروجهم بالسيارات من المدينة مارين بعدائق المستشفى . وينبغي عليهما إيجاد مكان لها في حالة موافقها على المجيء معهم .

وبعدتد رجل ليعرف فجائى وبينما كان هو مازال
على مسافة نصف ميل من الثمالة انفجرت طاحونة الأرض
بأكملها . فخرج من الظلام نوع من الرياح الجالحة التى
اطاحت بالرائد فسقط من فوق دراجته .

وتنهض واقفا لاهت الأنفاس مرتشيا وراح يضبط
نفسه على الدراجة . وبدأت جميع التيران الصغيرة
المتناثرة فيما حوله كأنها قد اطفئت بسبب ظهور التيران
الهائلة الجديدة . اذ ارتفعت التيران الجديدة مثل سحابة
يرتقالية اللون حتى انه تمكن من مشاهدة الشماليه
بوضوح شديد . وبعدئذ شباهه ايضا فوق التيران
الدخان الأسود المتصاعد الى ان اخفى النجوم . ثم سمع
فجاء صيحة أصوات متصاعدة ثم سمع أصوات أقدام
مهرولة بعيدا .

فراح يفكر لى تعاسة : . وذلك هو ما قصده
الآن أيضا . فانا الآن الود بالفرار أيضا .

ولم يركب الدراجة مرة أخرى وانما راح يدفعها

ببطء للأمام في وجه النيران .

وعندما شاهد باترسون الرائد برين يدفع دراجته
إلى قطعة الأرض الواسعة المسورة مثل رجل لا يعرف
إلى أين هو ذاهب ، شعر بالضيق الشديد . لقد ولت
بالفعل مشاعر الود والشفقة التي كانت ترغرف في
داخله ، إذ كان قد بدأ يكره بتسون وزوجته وبورتمان
وزوجته ومدام مالك نائيرن كما أن رائحة النيران المشتعلة
في طاحونة الأرض قد سببت له الكثير من الضيق .

وبعدئذ عندما شاهد باترسون الرائد الكتيب
الأشيب المرهق يدفع دراجته إلى داخل مساحة الأرض
المسورة وقد تأخر ساعات عن مواعده بل ولم يكن
راكبا فانه وصل فجأة إلى قمة الضيق والقرق . .

فصاح به :

— أبها الرائد ، أين كنت ؟

— في المستشفى .



وسقط من فوق دراجته عندما انفجرت طاحونة الأرز

- واين حاجياتك وامتعثك ؟

- هذا هو كل ما امتلك !

وكانت هناك حقيبة وزجاجة متدليتين من كتفيه .
واستطرد :

- هذه الاشياء والدراجة !

- ماذا تعني بالدراجة ؟

- الا يوجد مكان للدراجة ؟

- بالطبع لا يوجد مكان للدراجة . ضعها في
المنزل واتركها هنالك .

فقال الرائد :

- ولكني سأخذها معي .

- هل ستركبها ؟

- لقد اعتقدت انه بالامكان وضع الدراجة على ظهر
احدى السيارتين .

ولم يستطع بائرسون التكلم . اذ كان قد امضى
الساعات في وضع البنزين والماء في المقطعـورتين .
اما الطعام فقد وضعه في السيارتين ووضع الحيام فوق
السطح . وكان قد اعتقد انهم قد وضعوا اشياء اكثر
من اللازم بالفعل وها قد جاء برين بدراجته .
دراجة !! .

وقال بائرسون :

ـ ضع الدراجة بالخزل !

وتردد الرائد بعض الشيء . وبما له للمحطات ان
هذا هو الحل لهذه المشكلة الشخصية الخاصة به . وكان
عليه ان يتخذ قرارا في هذا الشأن .

فقال :

ـ اذا لم يسمح لي بأخذ دراجتي عني لماقنى لن
أذهب معكم ! .

ومرة اخرى لم يستطع بائرسون التكلم . ففي هذه
الرحلة لم يكن هناك أي شيء هام باستثناء الحفاظ على

الحياة والطعام والماء والبترزين والحظ السعيد + أما برين
فانه لم يتحدث عن أي شيء باستثناء الدراجة .

وقال باترسون :

- لا يوجد هناك مكان للدراجة . . وربما تجيء
معنا الأنسة روس والأنسة آليسون .
- الأنسة روس لن تجيء معنا .

- وهل ستجيء معنا الأنسة آليسون ؟

- هذا أمر غير مؤكد . فإذا كانت ستسافر معنا
فإنها ستكون موجودة في حدائق المستشفى لدى مرورتنا
عند المستشفى . .

- يالها من فتاة نشعر بالشفقة على الآخرين !

وفي تلك اللحظة سقط السقف الحديدي للطاحونة
في زئير مثل زئير المحدث المنصهر لدى القائه في الماء .
واقتطعت باترسون ليري الوجه الحزين للراشد وهو ممسك
بالدراجة التي لا يريد أن يفقدها . فاحس فجأة بأنه قد
أدرك وجهة نظر الراشد .

يقال :

- وهو كذلك . ثبت الدراجة في المقطورة التي
يوجد بها البنزين ! .

فراح الرائد يدفع الدراجة في بطنه وعندئذ تصاعده
الغضب مرة أخرى في داخل كيان باترسون .

وقال :

- تحرك بسرعة . بحق السماء . فنحن الآن
مستعدون للذهاب .

وشاهد باترسون من فوق السيارة البيوتك
تيوسداي وهو ينظر حالما الى شجرة الجاكاراندا فوقف
هو الآخر فاطروا الى الشجرة للحظات . وخلف الشجرة
كانت نيران الطاعونة المحترقة هائلة للغاية حتى انها
بدت وكأنها ستتدفع للأمام وتحرق كافة الأزهار
الناضجة .

- هل انت جاهز الآن يا تيوسداي ؟

لما تبسم الولد . وكان يعمل تحت إحدى ذراعيه
جهاز الراديو .

- نعم . أنا جاهز يا سيدي باتسون !

- وهل نادية جاهزة ؟ أين هي ؟

وهنا اختفت ابتسامة تيوسداي . أنها في المنزل
يا سيدي باتسون . .

- هل هي جاهزة ؟ احضرها !

فقال :

- لن تجي . نادية معنا يا سيدي . . لن تجي . !

وهرة أخرى لم يتكلم باتسون . ولكنه سار ببطء
إلى داخل المنزل وبدون أن يتطرق بكلمة واحدة للآخرين .
كانت الغرف غارقة في ظلام حالك فيما هذا ضوء
النيران . وتذكر أنه لم يتصاعد الفتاة طوال المستترات
اليوم إلا فيما ندر بل وتذكر أنه لم يتحدث معها إلا بقدر
خفيف . لقد جرح مشاعرها بسبب إهماله لها ولكنه

ثم يتعمد اهمالها ، وانما كان مشغولا للغاية . ووقف
عند اسفل السلالم وراح يتأدى عليها باسمها في رفق
الا انه كان يدرك انها لن ترد عليه .

ولم ترد عليه بالفعل فصعد الى الطابق العلوى .

وقال :

- نادية . أين أنت ؟ .

وسار بسرعة عبر الشرفة فشاهدها مستلقية على
سريرها . فركع الى جوارها ووضع يديه على وجهها
الا انها لم تتكلم .

فقال لها :

- لقد حان الوقت للرحيل .

كان وجهها جامدا وكانت عينها السوداوان تنظران
لأعلى نحو السقف .

- يا نادية ، نحن ذاهبون الآن . لقد حان الوقت
للذهاب ! .

— لا . . .

— لقد حان موعد الرحيل . أين حاجياتك
وأشياءك ؟

فابتسمت . وأدرك أنها ابتسمت لأنها لم يكن
لديها أية أشياء ولا حتى جهاز راديو مكسور مثل ذلك
الذي يمتلكه أخوها . . . وعندها ابتسمت أدرك أن كل
الأمر مستدير على خير ما يرام . ثم جلست معتدلة
وراحت تسوى شعرها .

وبينما كانا يهبطان على السبيل شاهدهما وهي
تبتسم في ضوء النيران وبعد عشرة دقائق تحركت
السيارتان خارجتين من الأرض المسورة ، وكانت هناك
بعض المناقشات والمجادلات الأخيرة وبعض الصعاب
المتعلقة بماكن الجلوس . فاحتبال الضمام الأنسة
؟ ليسون اليهم قد أفسد النظام الذي وضع .
فراحت الضمام بتسبون تردد بصوت مرتفع :

— دعوا ذلك الولد العزيز يجلس على ركبتي
فلن يضايقني هذا على الإطلاق !

وأخيرا ركب بورتمان وزوجته ومدام مالك ناثيرن
وكوني والرائد برين في سيارة بورتمان . وكانت
مدام مالك ناثيرن قد بدأت في الصباح وأحس بورتمان
بالازتياج والسرور لأنه لم يجلس متضاظعا معها في خلف
السيارة حيث جلس في ذلك المكان الرائد برين .
أما بتسون وزوجته فقد ركبا في المقعد الخلفي بسيارة
باترسون حيث تركوا مكانا للآنسة آليسون في حالة
مجيئها . وهذا الترتيب قد جعل باترسون في المقعد
الأمامي مع نادية والولد .

وتوقفت السيارتان عند المستشفى الواقعة في
الطرف الشمالي للمدينة . وكانت حركة المرور بطيئة
للتفاية اذ كان الناس يخرجون من المدينة متجهين شمالا
في هوكب طويل عظيم : في عربات كارو وفي سيارات
واتوبيسات وسيرا على الأقدام وفوق الدراجات .

ولدى الوصول الى حدائق المستشفى نزل الرائد
برين من السيارة وسار على طول الطريق للبحث عن
الآنسة آليسون المريضة . ومضي بعض الوقت ولكنه

سرعان ما عاد معها . حيث أخذتا يطعنان طريقهما
بصحوبة نحو السيارة .

ونظر ياترسون من نافذة السائق لشاهدتها تلهت
بين الجماهير الصاخبة مثل ريشة باهتة اللون شاحبة .
كانت لها ساقان طويلتان فحيلتان وكانت لها عينان
مليئتان بالهم والقلق . .

وقال :

— في الخلف مع المبتدر يتجهون وزوجته . . لقد
سعدنا بالعثور عليك .

فابتسمت في حدود مزوج بالنعاس ، ودخلت إلى
المقهى الخلفى بالسيارة . .

الفصل السادس

ولم يكن أمام الولد الذي استيقظ في الصباح شيئا يثبت عليه اتجاهه سوى التلال الشمالية . وكان السهل يقع بين التلال وبين السيارتين المتطلفتين بسرعة على الطريق وفوق الضار المنتشر فوق مساحة كبيرة حيث كانت تحوم بعض الطيور القليلة . ولكن عندما ثبت الصبي نظراته على التلال الشمالية لم يعد أمامه شيء يثير قلقه . إذ كان يعرف ذلك الجزء من البوالة تمام المعرفة . فهو قد خبى له الذهاب إلى وراء تلك المنطقة لمسافات بعيدة مرات عديدة مع باترسون . فهذا السفر بالنسبة له لم يكن سوى رحلة أخرى من الرحلات العديدة التي شاهدها من قبل .

وكان قد عرف الكثير من المعلومات عن اليابانيين .
وكان يدرك أن الحرب قد أصبحت في غاية الضراوة
وأصبحت غاية في السوء . . . إلا أن باترسون الذي يعتبر
بمثابة المركز الرئيسي لحياته كان موجودا معه . لذلك
لم يكن يهتم بالناس الآخرين . وكان يرى أن الأمر
يستلزم ضرورة الاهتمام بباترسون وإرشاده ومساعدته
وحمايته من أي شيء قد تجلبه الرحلة . وذلك أمر غاية
في البساطة .

وعندما نهض تيوسداي من تحت السيارة شعر
بالدهشة عندما أدرك أن مدام بتسون مستيقظة بالفعل
وموجودة خارج السيارة . وعندما شاهدت مدام بتسون
الولد راحت تلوح يديها في بهجة وسعادة .
ولمالت :

ـ آه . ها أنت موجود ! أليس الأمر جميلا ؟
أليس رائعا ؟

غابتسم الولد . لم يعد جالسون المدام بتسون
بضايقه كثيرا . فهي ليست سوى شخص آخر بين

المنحاضين كمنبرين يضحكون في السخافة ويلوحون
بأيديهم

وتساءلت :

— ما الذي ستفعله ؟

فقال :

— سأشعل النار وأعد طعام الاقطار .

— عظيم .. هل لي ان أساعدك ؟

فقال :

— لو سمحت !

وبينما كانت هي تتجول بعيدا فوق الشراب لتلتقط
أعواد الأرز وأوراقه التي أذرتها الرياح .. كانت تتوقف
من وقت لآخر ، وتنظر إلى الأشياء الموجودة على الطريق .
وكانت قد سمعت ضوضاء الطريق طوال الليل ..
الطيسرات .. والدراجات .. وعربات الكارو ..
والناس المترجلين سيرا على الأقدام .. والنساء الحاملات

لأطفالهن خائف ، لا يورهن . . . ورجال يحزنون بسلا
ويهرولون في الشراب . . . وسيارة من وقت لآخر .

وعندما رجعت من جولتها كان باترسون قد
استيقظ من نومه فكلفها بأن تشاكي على الآخرين لكي
يستيقظوا . . . واستيقظ الجميع فيما عدا بنسون نفسه
والمرضة اللذين ظلا في مسجات عميق دون حراك .
فراحت تطرف على نافذة السيارة فنهض بنسون غاضبا
وهلج بالياب إلى الوراء حتى أن الباب اصططم بها .
ولم تندهش من هذا التصرف ولم يؤد ذلك إلى استيقاظ
المرضة .

وتسائل :

— ماذا كنت تحاولين أن تفعل ؟

— لا شيء سوى أنني كنت أريد إيقافها .

— باستطاعتني أن أوقف نفسي . . . ليس كذلك ؟

فسارت مبتعدة عنه بينما القش الجاف مازال
موجودا في يديها . . . وكانت مدام بورتمان واقفة بجوار

بسيارة بورتمان فنظرت الى بتسون وذووجه .

وقالت :

— اذا كان ذلك هو نوع المنظر الجميل الذي يدور
امامنا فانني اتمنى لو أننا جئنا بمفردنا !

فقال الراحله :

— اعتقد أننا سنكون اكثر امانا وامانا عندما نتحرك
سريا .

فقال بورتمان :

— اننى لا اتصور السبب الذي يدعوك لأن تقول
أننا سنكون اكثر امانا . . فقد نظرت الى الخريطة واعتقد
أنه ينبغي علينا أن نصل الى كوهيما فى خلال ثلاثة أيام
أو نحو ذلك . .

ولدى تناول طعام الافطار شعرت مدام مالك فائرين
بمزيد الضعافة فجأة عندما شاهدت باترسون وكوني
جالسين سويا . وكانت تستمتع بالشاي الساخن الذى

شجرة الجاكواردا .

ناولها الصبي لها . وبعدئذ حدث دوى من الضحك عندهما
وصحلت الى الديران . فنظرت لأعلى وأدركت أن مدام
بنسون لم تضع القش الخاص بها على النيران على الإطلاق
وانما كانت واقفة وممسكة بالقش باحدى يديها وممسكة
باليد الأخرى فنجان الشاي وقد نسبت تماما وضجع
القش فوق النيران . وفي بعض الأحيان كانت ترغم
حزمة القش نحو قمها كما لو كانت ستتناول ذلك القش
وتأكله . وبعدئذ بدأت تاكل القش بالفعل ا

وشعر بنسون بالغضب الشديد . الا ان كل
شخص آخر واقف تحت الشمس الحارقة شعر بان تلك
بمشابة بداية سعيدة لذلك اليوم . ولكن تادية والولد
اللذين كانا جالسين في انزال ، لم يشعرا بأي شيء
مسئ في ذلك الموقف .

وحدث اهتزاز عنيف بالسبارة مما جعل كوني
تفريق من أفكارها المتركة على باترسون ثم سمعت صراخ
بورتمان تقول :

هل هذا هو الطريق الوحيد ؟ يا له من طريق
مريع ومخيف ١٤ .

ثم قالت مدام مالك نائيرى :

- ترى ما هي المسافة التي ستقطعها على هذا
الطريق الرديء ؟

فقال بورتمان :

- ستة ارسبعه اميال .

وكانت عيناها مبهتين في تعب . وكانت حرارة
الشمس قد وصلت بالفعل الى قوتها وعنفوانها . وكانت
السيارة تطلق بسرعة ١٥ ميلا في الساعة ، ولكن
سرعتها هبطت الى ١٠ اميال في الساعة بسبب تزايد
حرارة الشمس وبسبب تزايد سخونة الموتور .

ولكنه اعتقد انه حتى في حالة الانطلاق بسرعة
عشرة اميال في الساعة فانه يستطيع ان يقطع مائة ميل
في اليوم ولذلك فانه سيكفيه اسبوع واحد . وتلك

شجرة الجاكاراندا -

ستكون قيادة جيدة على طرق من هذا النوع .
وباستطاعته أن يضع علامة على الخريطة تبين مدى تقدمهم
في كل يوم .

وعندما نصبوا خيامهم في وقت الظهيرة كانوا
يشعرون بفقد ضئيل من الأرهاق . أما الآنسة أليسون
المرضة فكانت لا تزال نائمة .

الفصل السابع

ولم يزل حلق المساء أصبحت السيارتان امام الجمهور الرئيسي ، وفي الشمال لم يبد على الجبال الواقعة على مسافة خمسين ميلا أنها اقتربت ولو بقدر ضئيل . وكانت مشكلة النوم غاية لى التعقيد . وبدأ ليترسون انه من الافضل ان يتنام كل من المدام هاك ناثيرن والمدام بورتمان وكوني في احدى الخيمات الثلاث ، والرائد برين وبندسون في الخيمة الثانية والآنسة آليسون والمدام بتسون وتاديه في الخيمة الثالثة . اما باترسون نفسه وتيوسداي فينهما في السيارة . وقد شرح وجهة نظره هذه بينما كانوا ينصبون الخيام تحت وهج شمس المساء .

فقال بتسون :

— انتظر قليلا . ذلك من شأنه ان يثير بعض
المشاكل .

وقال بانرسون :

— ذلك افضل شئ . يمكننا ان نفعله .
— لا . ليس هذا افضل وضع . فزوجتي لن
تنام مع الأنسة أليسون ونادية :

فقال بورتمان :

— ولم لا ؟

فرد بتسون مكررا نفس التساؤل :

— ولم لا ؟ . ولماذا لا تجرب زوجتك ذلك ؟

ولم يتكلم بورتمان . كان يريد أن يقول أن
السيدة بتسون متخلة العقل وبذلك لن تلاحظ مثل هذه
الأمور .

وسار بانرسون حول الحيمة وعندما رجع الى

فتحة الخيمة دهنس عنهما شهاد كوني هناك مع مدام هالك
ناثيرن . وكان يتسرون قد بدأ يصيح بكلام عن زوجته
فأثلا عنها أنها في حالة طيبة مثل باقي الآخرين .

وقالت كوني :

— لو كانت هناك أية متاعب فائني سأنام في
الخيمة مع الأنسة أليسون .

وقالت مدام هالك ناثيرن :

— بكل تأكيد لن تفعل شيئا من هذا القبيل :

فقلت الفتاة :

— الامر غاية في البساطة !

— كلام فارغ - لا شيء أكثر صعوبة من ذلك .

— كيف يكون ذلك صعبا ؟

فقلت مدام ناثيرن :

— لا داعي لأن تعرفي كيف يكون ذلك صعبا .

- اذا كنت سبتيد اين في التحدث عن مسهرية
ذلك الامر فاعتقد ان كافة الامور ستكون صعبة للغاية
بالنسبة للمستر باترسون .

- انا لا اريد التحدث عن ذلك الامر .

فقالت الفتاة :

- دعيني وشائى لو سمحت . . . اننى افضل ان
افعل ذلك على ان انام مع الباقي منكم !

فقالت مدام بورتمان :

- شكرا !

وقال بتسون :

- حسنا ، زوجتى لن تفعلها . .

ووقفوا حول الحيمة يتناقشون ويتجادلون . ورفع
بتسون صوته في غضب مدافعا عن زوجته كما لو كانت
هى شيئا ما يقدس ويحبه . الا ان الآخرين كانوا
يريدون ان يقولوا عنها انها مجنونة ، وانها لا تعرف

القارق بين انقش واخبز .

وقال باترسون :

- اعتقد ان كونى ينبغي عليهما ان تتخذ قرارا بدون تردد .

فقال مدام مالك فائرين :

- لقد اتخذت قرارا ذات مرة . . وماذا فعلت أنت ؟ لقد عاملتها كما تعامل القاذورات . ومازلت تعاملها على ذلك النحو منذ فترة طويلة . . وما انت الآن تريد أن تعاملها مثل القاذورات مرة أخرى !

فقال بورتمان :

- هذا تجاوز شديد للغاية !

ودهمشت مدام بورتمان من الهدوء الشديد الذي ظهر على باترسون ولم يكن لديها ما تقوله . ومرة أخرى شعرت بالاثارة والاضطراب . وترامى صوت مدام بتسون القريبة من الديران وهي تضحك على جنون مما

جعل باترسون يبتسم .

ولجأة انخرطت كوني في البكاء فوضعت مدام
بورتمان ذراعها حولها وبدأت تسير بها بعيدا . وبدأ
بورتمان يسير هو الآخر مبتعدا .

الا لن باترسون نادى وراءه :

- يا بورتمان ! صاعد الرائد برين في إقامة الحية
الأخرى . فالبو سيصبح مظلماً في خلال نصف ساعة !

لقتل بورتمان :

- وهو كذلك . وهو كذلك . . . التزم الهدوء ! .

وبدا باترسون هو الآخر يسير مبتعدا .

وقالت مدام فاثيرن :

- أنت نخشى الإنصات الى لأنك تدرك أن ما أقوله
هو كلام صحيح .

وبدأت هي الأخرى في النشيج والبكاء . وفي نفس

اللحظة بدأت المدام بتسبون في الانفجار في الضحك
الجنوني مرة أخرى بجوار النيران .

وصرخت مدام مالك نائيرن :

— أتمنى لو كان بمقدورنا الاستمرار في الرحلة
بفردنا . وبدون أن تكون أنت معنا !

ومن عند النيران أطلقت المدام بتسبون صيحة
اجتهاج اذواء شيء ما .

وراح بتسبون يرقبها في دهشة وغضب ثم قبل
أن يتحرك . اذ كانت قد أخذت قطعة خشب من النيران
وراحت تدخنها مثل السيجارة . وفي خلال لحظات قليلة
ضرب بتسبون قطعة الخشب المشتعلة لأسفلها من قمها
ولبرحت هي للخلف بسبب عنف الضربة .

وصاح فيها :

— لا تكوني غريبة الى هذا الحد !

وعلى الجانب الآخر من النيران وقف الصبي وقبض

فأدركته إبتسامته . وكان يشعر في تلك اللحظات
بمشاعر العطف والود نحو مدام بتسون .

وتصنفت الأنسة أليسبون من حل المشكلة
مشكلة الشجار حول من الذي ينبغي أن يبيت مع من
وذلك من خلال استمرارها في النوم . فهي لم تستيقظ
وقام . باترسون بوضع الأغذية عليها في الجزء الخلفي من
السيارة ونام الصبي في المقعد الأمامي لكي يواجه حالة
استيقاظها ونسأولها عن المكان الذي وصلوا إليه . .
ونام الرجال وفقا لترتيبات التي وضعت ، ونامت
نادية وكوني مسويين . وكانت مدام ماك نائمين قد
رضخت وواقفت في نهاية الأمر لأنها لم يعد بمقدورها
الدخول في مزيد من المناقشات نظرا لانخراطها في
البكاء ، ولأن ذلك قد أعطاها فرصة لكي تظهر النوايا
الطيبة .

وذهب الرائد للنزهة والتريض . . لم يستطع
النوم ولكنه كان سعيدا للغاية باستثناء أفكار تراوده .

عن الأنسة روس بأستشفى . وكان يحب تلك اللهبات
المتبدلة في داخل الخيام . إذ كانت تبدو ثابتة غير
متبدلة مثل سماء الشرق ومثل النجوم ورابعة التراب
في الظلام . فإذا نظرت للتحلف عبر الحروب مستجد أن
ذلك الشيء هو الذي لم يتغير - ضوء المصباح المتبدل
بالخيمة والنيران الجامعة بالخارج والاحساس بالسلام
الذي تعطيه الظلال الواقعة على حوائط الخيمة .

وبينما كان يسير عائدا الى المعسكر شعر بالتماسة
عندما خطر على ذهنه أنه لا يترك بورما فقط وإنما هو
يترك أيضا الأنسة روس التي كانت بمثابة أجمل شيء
في البلاد . بل وأكثر الأشياء دواما بها . ولكن يبعد
هذه الفكرة عن ذهنه ذهب ليلقي نظرة على دراجته التي
كانت لا تزال مربوطة في مؤخرة سيارة باترسون .
ولقد نظر إليها مثلما يلقي رجل آخر نظرة أخيرة على
حصانه . ولدى ابتعاده جاء اليه بورتمان وزوجته .

قال بورتمان :

— المكان هنا شديد الهدوء !

— رائع وممتاز !

— الحرب تبدو وكأنها تقع على مسافة مليون ميل . فالملكان هنا يسود السلام والهدوء الشامل .

وقال البرائد :

— نعم . . .

وبينما يهم بالانصراف قائلا « تصبحان على خير »
ماج عقله بالقلق والاضطراب مرة أخرى بسبب قلقه على
الآنسة روس وبسبب أنه كان يهر مبتعدا عن الحرب .

وكانت كوني ترقد في الظلام في الحجرة التي
تقع وراء حجرة مدام بورتسان . لم تكن لديها الرغبة
في النوم . كانت تريد أن تنهض وتذهب إلى باترسون
وتلقى الضوء على الأمور التي قالتها والدتها . كانت
تريد أن تقول له أن تلك الأمور التي قالتها والدتها
غير صحيحة . إلا أن الأمر كان يتطلب منها قدرا من

السجاعة لكي تنهض وتذهب الى باترسون وتوقفه من
نومه اذا لزم الامر وتقول له تلك الامور . وظلت
منردة لفترة طويلة للغاية ، وأخيرا قررت عدم الذهاب
الى باترسون . .

وقال بورتمان :

- أوجد أي شيء خطير ؟

- لست أدري . ربما توجد بعض الشوائب في
البنزين . . سنضطر لأن فنصب معسكرا هنا ! .

وأطلقا بورتمان موتور سيارته ، وشرع فيجاءة
بالضيق والتوتر . . لقد كان كل شيء يسير على خير
ما يرام . فهم قد تخطوا الموكب الرئيسي للجماهير الناس
منذ فترة طويلة . بل وكانوا قد تخطوا سيارة كانت
قد بدأت من شويبو . . وكانت تلك السيارة بقيادة
رجل هولندي . ولقد قال ذلك الرجل أثناء تخطيهم له
أن اليابانيين قد وصلوا بالفعل إلى ياميتي .

ولدى خروج بورتمان من السيارة ، قالت عديم
بورتمان :

- اعتقد أنه من الخطأ ومن الغباء أن نعتمد في الساعة
الثالثة . فنحن نضيع الساعات هباء وسدى ولنسوف
يلحق بنا كافة أولئك الناس . لا أرى سببا يدعونا إلى

الموقف حتى لو كان هو يرى داعيا لذلك .

وسار بورتمان راجعا الى سسيادة بائرسون ،
ولمجانة امتلا الهواء بأصوات تشبه طلقات الرصاص .
وكان بائرسون منهمكا في فحص موتور سيارته . . وكان
يوسد أي منسكا بالآلات وفي حالة استعداد اذا تطلب
الأمر استخدامها . وكان وجهه مكسوا بابتسامة هائلة
ملينة بالبهجة والسعادة . إلا أن هذه الابتسامة جعلت
بورتمان يشعر بالمزيد من الضيق .

فصاح بصوت مرتفع يعلو على صوت الضوضاء :

— ماذا في الأمر ؟

وتوقف الموتور تاركا بورتمان يصيح بأعلى
صوته في الصمت .

وضحك بائرسون وانسعت الابتسامة على وجهه
الصبي ، وشعر بورتمان بالرغبة في ضرب الصبي
وطرحه أرضا .

وقال بورتمان :

- حسنا ، ماذا فى الأمر ؟

- الكروبورثير . . ربما سأضطر الى تنظيفه !

- هل يجب ان فتوقف الآن ؟

- انتنى لا اوافق على قيادة السيارة الى أعلى التلال

بينما توجد شوائب فى الكروبورثير .

- هذا تهديد رهيب لضوء النهار بدون جدوى .

فاولئك الناس سوف يلحقون بنا !

لقال باترسون :

- انها بلادهم - ولهم الحق فى مفادرتنا . ونحن

جميعا نلوذ بالفرار بأسرع ما يمكن !

وظل بورتمان غير قادر على التكلم للحظات .

وبعدئذ قالت مدام بورتمان وهى جالسة فى السيارة :

- ما هى كل هذه المناقشات يا عزيزى ؟

وقال باترسون :

- يستحسن أن تهبط من فوق التل وتسير
عند السطح ، ولربما نعث على مياه هناك ، أما أنا
فأحاول إصلاح سيارتي هنا ! -

فعاد بورتمان إلى سيارته لحاضيا ، واتجه
بورتمان مع زوجته وهما مالك ناثيرن وكوني بالسيارة
إلى أسفل التل ، وذهب بتسون والرائد برين إلى
باترسون لتقديم المساعدة له ،

وقال باترسون :

- يمكنني تدبير الأمور مع تيموسداي ويستحسن
أن تنقلا الجيمة الأخرى إلى أسفل التل .

فقال الرائد :

- يمكنني أن أنقلها على دراجتي ! -

وبعد مرور وقت قليل وقع باترسون نظره عن
الموثور وشاهد المدام بتسون مازالت واقفة هناك ،
وكانت عيناها قد فقدتا كل ما فيهما من ألوان تحت

الضوء المتوحش لفترة ما بعد الظهر ، وظهر فيها نوع
من الحذر الملىء بالأمل لدى النظر لأعلى التلال .

وقالت :

- لا يبدو هنالك أى طريق على الإطلاق !

قال باترسون :

- يوجد طريق واحد !

وقالت :

- وماذا سيحدث لو أن

وتركت العبارة بدون أن نستكملها نظرا لأنها
قد نعدت على ذلك وأيضا بسبب أنها شعرت أن
مخاوفها ليست سوى أمور سخيفة . لكل شيء كانت
تقوله كان بمثابة كلام فارغ وسخيف . وقد سبق أن
قال لها باترسون ذلك مرارا وتكرارا . إلا أنه لم يحدث
لها على الإطلاق أن كانت لديها القوة التى تعينها على
وضع المعنى الجيد فى الكلام الذى تقوله منذ أن مات

أول طفل رضيع لها منذ ثلاثين عاما بالمستشفى في
مابدا لاى وعند ذلك الحين لم تشعر على الاطلاق في داخل
نفسها أنها على ما يرام .

وأرادت أن تسأل عما سيحدث اذا هم ضلوا
الطريق . وهل كان هناك طريق آخر ؟ لو ماذا سيحدث
لو أنهم اكتشفوا انهيار أحد الكبارى . وهل باستطاعتهم
أن يتخذوا خطا دافعا ؟ .

وكان باتريسون منعنيا على الموتور عندما خرجت
نادية من السيارة وتكلمت باللغة البورمية . وبعدئذ
رفع رأسه في حلة .

وقال :

- اننى مشغول للغاية يا جدام بتسون . .
يستحسن أن تنزلى الى سفح التل وتلحقى بالآخرين .
فأنت نحتاجين للراحة وتناول الشاي ! .

وبذل جهودا عنيفة لكن يفتح الكاربورير وكانت
عيناه شبه مغمضتين حيث كان العرق يتدفق الى داخل

عينيه ، مما كان يؤدي الى دخول التراب في عينيه .
وزرجن الكابورنير معه وبدأ العرق يتساقط منه فوق
الماكينة الحائلية من المروح والتي خذلتها . وما إن
سمعت مدام بتسون حتى هزولت نازلة من فوق لشل
في ذعر وخوف مثيرا التراب وراءها .

وعندما أخذ الرائد برين يصعد التل في بطله
فوق دراجته ومعه رسالة بدت حرارة الشمس وكأنها
تصدمه في قوة كما لو كانت تريد أن تطرحه أرضا .
الا أن صموده بالدراجة لمسافة نصف ميل في اتجاه
قمة التل قد أعطاه متعة تفوق أي متعة أخرى في
الرحلة .

وكان باترسون محاطا بالآلات والمععدات تحت
الأشجار . وكان العرق فوق وجهه قد اتخذ اللون
البنى الأخضر بسبب اختلاطه بالزيت . وإلى جواره
كانت نادية والصبي يقفان في قلق وتوتر مسكين
بالآلات في أيديهما .

وقال الرائد :

- بورتمان لا يعرف كم من الوقت سيستمر هذا
الوضع .

- وما الذي يفعله هو بحث السماء ؟ .

- انهم يتناولون الشاي ! .

- شيء عجيب :

ومع يده اليسرى نحو الصبي صارخا لكي يتناوله
عفكا . واستطرد :

- لو سمحت احضر لي بعض الشاي ! .

ولم يكن الرائد قد احضر شيئا له فقال انه آسف
للغاية .

وقال باترسون :

- آسف لأنني صنعت بصوت مرتفع والغلطة
ليست غلطتك أنت .

- ذلك على ما يرام ، الجو شديد الحرارة ، ماذا
سأقول لبورتمان ؟ .

- وماذا يهم يورتمان ؟ هذه السيارة المعطلة
ليست سيارته !

- أعتقد أنهم يريدون مواصلة السير !

فتساءل باترسون :

- وما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

- لأنهم لم ينصبوا الخيام حتى الآن !

فقال باترسون :

- حسنا . قل لهم أنهم لا يمكنهم مواصلة

المسير . قل لهم أنني نسيت في حدوث شرخ في

الأنبوبة . قل لهم ألا يكونوا سخطاء !

- كم من الوقت سيستغرق الإصلاح ؟

- قل لهم أننا ربما نتمكن من السير بحلول

الصباح !

وشعر الرائد أنه ليس لديه ما يقوله أكثر من

ذلك . وكان يتفق في الرأي مع باترسون . كان

الموقف متعبا للغاية . وكانت حرارة الشمس الحارقة
تضرب قمة رأسه في عنف بينما كان واقفا هناك ،
ولذلك كان يرحب بالحصول على قدر من الراحة .
وثبت دراجته في ظهر السيارة ونزل هابطا من فوق
التل سيرا على الأقدام .

وفي تمام الساعة الرابعة وصل الرجل الهولندي
بسيارته الى قمة التل مشيرا وراءه صحابة من الضباط
كانها انفجار هائل وعندما تخطى باترسون بسرعة
هائلة ، ارتطم الضباط على جانب السيارة البيويك واقتدفع
الى وجه باترسون لدى انحنائه على الموتور . وصاح
الرجل الهولندي قائلا كلاما ما ثم خفض من سرعته .
وبعدئذ شاهد باترسون يلوح بآلة في يده . وبدأت
الآلة كأنها ستفلت من يده وتتجه مباشرة الى رأس
الرجل الهولندي .

وصاح باترسون :

- مازال هناك متسح من الوقت .. فهم لن

يسبكوا بك !

ولدى انطلاق الرجل الهولندي مرة أخرى بسرعة كبيرة شاهد باترسون وهو يلوح مرة أخرى في جتون بشيء ما في يده . واعتقد أن باترسون قد سمع الكلام الذي قاله ولم يقتنع بالإجابة التي سمعها من باترسون . لقد كان هذا الرجل غيباً من وجهة نظره .

وعند سفح التل شاهد بورتمان ومعه جردل ماء .

— هل ذلك الرجل المجنون الموجود فوق قمة التل واحد من مجموعتكم ؟

فقال بورتمان :

— الرجل الذي يصلح السيارة ؟

— نعم !

— ينبغي عليه أن يلجأ مهمته بسرعة .

فقال بورتمان :

— من أين جئت ؟ وماذا في الأمر ؟



وتار الغبار على وجه بالرسون

— لقد قتلوا ٥٠ شخصا بريطانيا في محطة السكة
الحديد في شيوكيو !! .

نحمر بورتمان بالغثيان بسبب الخوف والذعر
والتراب .

— بل وبدأت الأمراض في الانتشار أيضا . وجميع
أهالي بورما قادعون على هذا الطريق على مسافة ٣٠ ميلا
وراءك . .

فقال بورتمان :

— نعم . .

والتقط جردل الماء لدى تحرك سسيارة الرجل
الهولندي ووقف يرقب الغبار المتطاير خلفها . وخربت
الحرارة المتوحشة الجافة وجهه مثل لهيب عنيف ومعها
جاء العرق الجديد الناجم عن الرعب والتسلق . . العرق
البارد المصحوب بالغثيان الناجم عن الرعب .

وعندما ترك باثرسون سيارته تجرى هابطة
من فوق التل فانها نغطت الأنسة آليسون . كانت
تجتأحها مشاعر الوحشة والاكتئاب وكانت تشعر
بالارهاق والتعب . وهي لم تكن تتكلم باللغة البروميه
وهي لم تكن انجليزية فهي لم تكن تنتمي الى هذا العالم
او ذاك . وكان الليل المترب بالمستشفى قد سبب لها
الشعور بالتعب والارهاق ولهذا فقد نابت لفترة طويلة
للفاية في داخل السيارة .

ومحمد سلفح التل شاهدت باثرسون وبورتمان
يتجاذبان أطراف الحديث بالقرب من سيارة باثرسون
وعندما تجاوزتهما صهعت بورتمان يقول :

— وأقول لك انه كان واثقا تماما من ذلك الأمر .
فقد بدأت المتاعب والناس يلقون حتفهم ا

ولم تشعر الأنسة آليسون بالسحشة . وكانت تدرك
ان كافة أنواع الغليان تنتشر بالتأكيد انشاء وجود
الحرارة الشديدة ، وعندما لا تكون هناك سوى كميات
قليلة من الماء في الحفر وثقوب الماء . لقد شاهدت

بورتمان وهو يتحدث الى الرجل الهولندي وكان لديها
الادراك السليم الذي يعينها على معرفة السبب في ان
بورتمان وباترسون كانا يتحدثان صويا بمفردهما .
اذ كان من الأفضل عدم السماح للنساء الأخريات
بسماع ما يدور من كلام .

وبعد لحظات قليلة تخطتها المدام بورتمان وهي
تسير مباشرة نحو الرجلين .

وقالت :

— يا مستر باترسون . أعتقد أنك تعرف أننا
اضطررنا لرعاية مدام باترسون طوال فترات ما بعد
الظهر . فما الذي قلته لها هناك عند قمة التل بجوار
السيارة ؟!

فقال بورتمان :

— اسمعي الى يا عزيزتي . ان السيدة باترسون
كبرت هامة للغاية .

— أنتم لم تضطروا الى رعاية شئونها طوال فترات

ما بعد الظهر . لم يكن يكفيها ان تكون مجنونة . وكان
الامر يقتضى اطلاقها ايضا .

وبدا باترسون في السير مبتعدا واصبح من المؤكد
ان الكاربوتير لن ينتهي اصلاحه في تلك الليلة وحان
الوقت لنصب الخيام .

— لست بحاجة لأن تعتقد أن بإمكانك الهرب بالمشي
سيرا على الأقدام يا مستر باترسون .

وقال باترسون :

— ينبغي علينا أن نقيم الخيام ! . . . ولو كنت قد
تصيبت المخيم وتركت الأقدام بتسمون وشأنها لكأنت قد
أصبحت على ما يرام الآن .

— هل انتهيت من اصلاح الكاربوتير ؟

— لا . . .

— ومتى سيتم الاصلاح ؟

— أمل أن يتم الاصلاح بعد ظهر الغد .

- تأمل ! يتبين عليك أن تشعر بالحبيل !
وبدا على بورتمان الأعياء الشديد وقال :
- ذلك من شأنه أن يغير الأمور ، أليس كذلك ؟
اتصده ...

فقال عدام بورتمان :

- كيف يغير ذلك الأمور ؟
- الأمر بسيط !

- أنت تخفي شيئاً ما عني !

فقال بورتمان :

- انه شيء لا أهمية له .

وعصرخ باترسون صاتعاً :

- يا أيها الرائد برين ، هل بإمكانك أنت والمسنر
بتسون إقامة الحيام ؟ لو سمحت ... !

وأحسن الشستر بورتمان بالارتياح لأن الحسكر
سيقام أخيراً ،

وبعد ذلك قالت مدام بورتمان :

— لماذا لا تخبرني ؟ عن أي شيء كنتما تتكلمان
أنتما الاثنان سوياً ؟ +

وسمع باترسون تسأولها ، فعاد راجعاً وحديثها
عن الأمراض التي اعتقد الناس أنها قد أخذت في
الانتشار في جميع أرجاء البلاد .

واستطرد قائلاً :

— ولكني لا أصنع هذه الأنبياء ، ولا داعي لأن
تزعجني نفسك على كل حال . فنحن لدينا مياه نقية
ممتازة معنا ، ويجب علينا أن نبقى مع بعضنا البعض
ونكون حريصين . . . وذلك هو كل ما في الأمر ! .

فلالت :

— انه من السهل أن تقول مثل هذا الكلام إذا كنت
مستسبب في تعطيلنا يوما كاملا .

فقال :

— ما باليد حيلة . . فليس هناك ما نفعله في
هذا الشأن .

فقلت :

— أنا لست واثقة من ذلك .

فسار بانرسون متجها نحو الحيام . الا ان بورتمان
انتحي به مكانا جانبيا .

وقال :

— وهناك شيء آخر . فقد قاموا بقتل ٥٠ شخصا
بريطانيا في شويبو بالأمر !

— لم يكن هناك خمسون شخصا بريطانيا في
شويبو بحيث نقول أنهم قتلوا خمسين شخصا بريطانيا .

— هؤلاء كانوا موجودين في قطار !

— من قال هذا ؟

وزاح بورتمان يوضح كيف أن الرجل الهولندي
قد أخبره بهذه القصة ، وتذكر باترسون ذلك الرجل
الهولندي .

وقال :

— في مثل هذه الظروف تظهر عادة قصص
مبالة .

فقال بورتمان :

— وحقيقة الأمر أن زوجتي أصبحت في غاية الفلق
والتوتر . وهي تريد الاستمرار في المسير على الفور .
— ذلك تصرف سخيف .

— ولكنني اتفق معها في الرأي .

— وهنا التزم باترسون بالصمت .

وقال بورتمان :

— هل ستشعر بالانزعاج إذا انفصلنا عنك وواصلنا
المسير ؟

— لا يهمني ذلك . ولكنه سيكون تصرفا بعيدا
عن العقل والحكمة تماما .

— كنت أدرك أنك ستقول ذلك بالطبع !

— إذا ظهر تصرف غير سليم فائني أقول ذلك القول
دائما .

— لقد قال الرجل الهولندي أن جميع أهالي بورما
يتدخلون وراءنا ..

لقال باقرسون :

— هذا لا يشير دهشتي !

— نعم . ولكن يعلم الله أننا لا نريد أن نلع في تلك
المصيدة ..

— إذا كان مقفرا لنا الوقوع في الأسر فالتنا سننقح

فى الأمر . . ونحن لن نموت سوى مرة واحدة .

وبالنسبة لباترسبون لم يكن هناك شيء آخر يقوله .
ولم يكن يساوره أدنى شك فى أن الموقف قد يصبح
غاية فى الصعوبة . بل وقد يتدهور الى حد بعيد
ويصبح غاية فى الخطورة بل ويصبح شنيعا . كان كل
شخص يجرى مهرولا لانقاذ حياته . والمياه الملوثة
والأمراض وبحالات الموت فى تلك الشمس المتوحشة من
شهر مارس فقد يؤدى كل ذلك الى عدم وجود تنظيم
لايقاف الهجوم على المناطق المنخفضة بالأرض والتي تتجمع
فيها مياه الأمطار . الا أنهم هم أنفسهم كان لديهم مياه
غذبة ممتازة وكان باستطاعتهم تسخين الماء الى درجة
الغليان واتخاذ كافة الاحتياطات الصحية . وباستثناء
الكاربوتر سار كل شيء على ما يرام الى حد بعيد . .
كما انه كان يعرف الطريق (اذا أمكن تسميته طريقا)
لمسافة ١٢٠ ميلا فى الاتجاه الشمالى الغربى . ولكنه لم
يكن يعرف أى شيء عن الطريق بعد تلك المسافة . .
وكان هناك عدد قليل من الناس ممن يعرفون الطريق بعد
تلك المسافة . وكان باستطاعته فقط أن يظن ما يوجد

هناك . فذلك الأماكن كانت دائما أماكن تجوال من مكان
لآخر بمعرفة الماشية النحيلة والرجال الضامرين
والأطفال ذوي العيون الملتهبة والنساء ذوات الوجوه التي
تشبه الخشب في سمعهم جميعا للبحث عن أماكن
أفضل . وبعد ذلك كانت هناك الصخور . . . صخور
خالية من الماء مثل تلال من الحديد .

وكان هو الوحيد بين مجموعته - ربما باستثناء
نادية والولد - الذي يعرف ما يمكن أن يكون موجودا
هناك . لم تكن الأشياء القابعة وراء هي التي تسبب
له الإزعاج مثلما هو الحال مع بورتمان وإنما الأشياء التي
تقع أمامه هي التي كانت تؤرقه . وإذا كان هناك شيء
يخاف منه فهو الطريق . كان يخشى أن ينتهي الطريق
في مكان ما هناك في الغابات قبل أن يتمكنوا من
الوصول إلى منطقة الشاي الريفية البعيدة والتي تسمى
« أسام » . .

وسار مبتعدا عن بورتمان عائدا إلى الخيام .
وكانت نادية قد كنست الأرضيات وانصرفت . ولدى

ابتهاده تقصمت مدام بورتمان مع مارك ناثيرن :

وقالت لباترسون :

- لقد سمعت أنك لا تحب فكرة مواصلة السفر

منفصلين . .

- على أية حال نحن سنستألف المسير غدا .

- نعم . ولكن في أي الاوقات غدا ؟

- أمل أن يتم اصلاح الأنبوبة على نحو ما في آخر

قرية وصلنا اليها وأن يتم الاصلاح غدا . فهذه القرية

تقع خلفنا على مسافة اربعة أميال فقط . ويمكنني

الذهاب الى تلك القرية مستخدما دراجة الرائد .

وكانت مدام بورتمان وحدها هي التي تكلمت .

وبعد ذلك قالت مدام مارك ناثيرن :

- اعتقد انه ينبغي عليك ان تعرف ان بورتمان

وزوجته وباترسون وزوجته وكوني وأنا متفقون في الرأي

جميعا على انه يجب علينا مواصلة المسير على الفور .

فقال :

- ستكونون متكدسين لي زحام للغاية في داخل
السيارة .

- الرجل الهولندي كانت لديه سيارة شاغرة .
ويمكن لنا أن نلحق به بسهولة كبيرة .

وقالت مدام بورتمان :

- نحن أناس أحرار . ويمكن لنا أن نفعل ما نشاء
كما يحلو لنا .

وقالت مدام هناك نايرن :

- لقد كنت دائما غير قادرة على الاصغاء لصوت
العقل .

وظل ياترسون ملتزما بالهدوء الشديد وظل واقفا
هناك ليضع لحظات ناظرا الى السيدتين . وكانتا
تسمران بشيء من خيبة الأمل لأنهما لم يتمكنوا من تفجير
الغضب في داخله . الا أنه انفجر بعد لحظات قائلا :

- اذهبوا بحق السماء ! ولا تجعلوني اثنيكم عن
تحقيق وعظمتكم ! .. اذهبوا بحق السماء ولا تتحدثوا
معنى في هذا الشأن مرة أخرى ! *

ثم استدار مبتعدا بدون أن ينطق بكلمة أخرى
تاركاً المرائين واقفتين هناك بجوار الخيمة . وبعد لحظات
شاهد القناة خارجة من القابة . وكانت تضع في شعرها
وردة حمراء كبيرة وكانت تمسك في يديها بعض ورود
الغابة والأزهار التي كانت تجمعها في كل مساء .
لتضعها على المنضدة في خيمة النساء الانجليزيات لكي
تجعلهن يشعرن كأنهن موجودات في منازلهن .. *

الفصل التاسع

وركب بائرسون الدراجة عائدا الى اقرب قرية قبل
الظهر مباشرة في اليوم التالي . وتم اصلاح الأنبوبة عقب
التغلب على بعض الصعوبات لأن الناس هنالك في تلك
القرية كانوا يستعدون للرحيل أيضا . وكانت هناك
بعض روايات تقول ان اليابانيين قد تركوا رانجون
وهي مشتعلة بالنيران ، وانها قد أصبحت مكانا موحشا
مليئا بجثث الموتى واللحوم المتعفنة .

وشاهد بائرسون الرائد برين والصبي منتظرين
عودته فوق قمة التل . وكان وجه الصبي خاليا من تلك
الابتسامة المعهودة التي لا تفارقه . وعندئذ أدركه هلي
الفور ان آل بورتمان قد ذهبوا .

وقال الرائد :

— اننى اشعر ان الغسلطة هي غلطتى • اذ كان
ينبغي على ان اوقفهم •

— انها ليست غلطتك • انها ليست غلطة اى فرد
حنا ولكنها غلطتهم هم انفسهم ! •

وبدت التعاسة على الرائد وهو يقول :

— كانوا مصممين على الذهاب •• كان عددهم
سنة أشخاص واخذوا معهم أكثر من نصف الماء •

ولم يتكلم باترسون • ونظر فى قلق الى صفائح
الماء والبنزين وأحدك فى ارتياح ان شخصا ما — ربما هو
الرائد برين — قد قام بوضع علامات بالطباشير على
صفائح الماء • وقرر ان يضع الماء — او أكبر قدر ممكن
من الماء داخل السيارة لكي يكون بعيدا عن حرارة
الشمس والبنزين •

وعندما انطلقوا بالسيارة فى حوالى الساعة الثانية

بعد ظهر ذلك اليوم ، كانت السيارة تجري بطريقة سليمة مرة أخرى . وكان الرائد والأنسة آليسون يجلسان مستريحين في الخلف . وبدأ باثرسون يشعر بالارتباك ازاء فكرة السفر بمفردهم . ولم يعد يشعر بآية مشاعر غضب ازاء بورتمان وزوجته وعدم مالك تأثير . لم تكن لديه آية مشاعر نحوهم .

وحتى الأعداد المتزايدة من المسافرين على الطريق والذي أصبح بمثابة ممر واحد أو سكة واحدة لم تسبب له ازعاجا كبيرا . لقد تحرر آنثوذ من حالات القلق السخيفة ومن المسئوليات والمشاجرات مع آل بورتمان .. وأصبح بإمكانه أن يسير على الطريق على النحر الذي يروق له . وهبطت سرعته الى عشرة أميال في الساعة . وكانت الوجوه تستدير للنظر اليه : وجوه البورميين والهنود الضامرين والبنغاليين والتاميل النحفاء ووجوه الأطفال المحمولين على ظهور أمهاتهم والوجود الرمادية التحيلة للماشية التي تعاني من الجوع . وفي بعض الأماكن كان الطريق يتجه لأعلى في انحدار شديد ثم يخرج الى قمة تل ضيقة خالية من الأشجار وبعدئذ

تضرب حرارة الشمس المتوحشة فوق الوجوه الملتفتية نحوه .

وبعد ساعة من السير شاهدوا امرأة ميتة وملقاة على السبكة ، وبعد قليل شاهدوا رجلا هنديا يلغظ أنفاسه الأخيرة لدى مرور السيارة بجواره ، اذ وقف للحظات تحت وهج الشمس الحارقة بينما كانت أصابعه تحاول الإمساك بالصخور الساخنة وعندما سقط جبينه للأمام أوقف باترسون السيارة لأن الرائد برين كان يصيح : وأبقى على تشغيل موتور السيارة بينما نزل الرائد برين والأنسة أليسون وسارا إلى الوداء .

لم يكن للرجل الهندي أصدقاء ، ولم تبه الوجوه التي شاهدت الرائد والمرضة وهما يجذبان الرجل الهندي بعيدا عن حرارة الشمس إلى ظلال اقرب شجرة أى اهتمام ، فهي لم تكن تلتصق إليه .

وقال الرائد لدى عودته ودخوله إلى السيارة مع الأنسة أليسون :

— اعتقد أنه بنغالي !

ولم يتكلم بعد ذلك لفترة طويلة بسبب شعوره
بالتوتر الشديد .

وطوال فترات ما بعد الظهر كانت الشمس تحرق
في وحشية فوق الطريق الخالي من الظلال وبدأت وكأنها
تسلب الحياة والألوان من التلال المطبقة . وجعلت
الشمس التلال تبدو وكأنها أشياء لانهاية ممتدة لمسافات
بعيدة في اتجاه الشمال للأبد .

وفي وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم ، كانت
هناك ثلاث جثث أخرى فوق الطريق . . . وكانت رائحة
الجسد المتعفن لحيوان ميت تقفز بين طيات حرارة ما بعد
الظهر الشديدة . وكان الهواء يقطر سحبا لمسافة نصف
ميل . وفي خضم الحرارة الهائلة لم يستطع الرائد أن
يطرد الرائحة العنيفة من أنفه . وكان لا يزال يشعر
بالغثيان عندما نصبوا الخيمة في الساعة الخامسة .

وفي تلك الليلة قضى الرائد ليكته نائما في الهواء
الطلق ، نظرا لأنهم لم يكن لديهم سوى خيمة واحدة .
وعندما ذهب إليه باترسون ليقول له : تصبح على خير . .

اكتشف انه قد نصب لنفسه شبكة لحماية نفسه من
الحشرات وابعادها عنه . وكان يرقب تحت الشبكة
مدخنا غليظة وناظرا لأعلى نحو النجوم .

وقال :

— يبدو أنك تعتقد انه من الغباء نصب هذه
الشبكة .

— لا . .

— انها عادة تعلمناها في الجيش .

وبدا باترسون ان الرائد يود تجاذب اطراف
الحديث فجلس الى جواره على الأرض وراح يرقب غليظون
الرائد . وآنذا يتحدثان عن الهند وبورما . وهناك في
الحبسة الوحيدة انطلقا الضوء الخاص بالأنسة آيسون .

وقال الرائد :

— يا باترسون ، سوف أعود غدا .

وكان يتكلم في بساطة وحزم ولم يرد باترسون

بكلمة واحدة ولم يعبر عن اعتراضه ولم يبد دهشته .

- ثم أشعر على الإطلاق بالارتياح لمجيئى معكم !

- لماذا ؟

- وذلك هو السبب فى أننى أحضرت دراجتى

معى .

ونظر الرائد نظرة مباشرة لأعلى نحو النجوم التى

كانت شديدة اللمعان فى السماء المظلمة .

وقال باترسون :

- ركوب الدراجة سيكون صعبا للغاية .

- عندما يتعذر ركوب الدراجة سألها للسير على

الأقدام وعندئذ ستكون الدراجة مفيدة لحمل امتعتى

عليها .

ومن مكان ما بالتلال بدأت الحيوانات تجار وتصيح

مثل سيدات ضائعات فى الظلام .

- اننى لم أستطع تحصيل فكرة أن الألسنة روس
وفيلدينج ما يزالا هناك بالمسـتشفى ! .. وأعتقد أن
كل ما تلقينته من تعريبات هو ضد فكرة اللجوء الى
الهرب .. فكرة الهروب ! الهرب هو اسسوا شيء فى
العالم !

- لا أاتفق معك فى الراى .

- وأنا أحب هذه البلاد . وأحب الناس فى هذه
البلاد .. وهذه مشاعرى دائما . وهى نفس مشاعرك
الى حد ما .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- يبدو هذا من أسلوبك فى انجاز الأمور . فأنت
تحب الناس وتحب هذه البلاد .. ويعنيك أمر الناس
وأمر هذه الدولة بالفعل .

ولم يعرف باترسون ماذا يقول . لالاعجاب الذى
تحدث عنه الرائد ازاء الناس والدولة والذى وصف له

لأول مرة من خلال شخص آخر أصبح نابضا بالحياة
بشدة بالغة .

وقال الراحل :

- بالطبع الواحد منا يفهم بورتمان ويتسبون
والناس الذين على شاكلتهما . . فهم رجال يعملون في
وظائف . . وليس لديهم فكرة عن تقديم الخدمات . ويمكن
للمرء بسهولة أن يدرك وجهة نظرهم .

وقال باترسون :

- بورتمان لا بأس به .

- ولكنى لست على ذلك النحو . ولا أستطيع
أن أفعل ذلك . وأنا لم يسبق لى أن سافرت إلى إنجلترا
منذ ثلاثين عاما . . وأنا لا أعرف كيف أعيش هناك
إذا ذهبت . . وهذه البلاد في بورما هي بلادى .

- متى ستبدا ؟

- بعد أن أشاهدكم وأنتم توصلون المسير في
الصباح .

يقال باترسون :

- سنقدم لك التسهيلات الى آخر لحظة .
- ثم نهض واقفا . ويبدو أنه لم يكن هناك كلام آخر يقال .

وقال الراحل :

- ان ملايين النجوم هناك في الاعالي .. أنت لا تعتقد أنه من الغباء أن أعود ؟
- لا على الإطلاق .
- انتى لمعيد بذلك .
- ومد الراحل يده . فصالحه باترسون وظل مسكاً بيده اللحظات فابتسم الراحل .

الفصل العاشر

وكان بورتمان يفود السيارة بسرعة ، لأنه كان قد أضاع بعض الوقت ، وكان الطريق رديئا مما جعل الانطلاق بسرعة ٢٠ ميلا في الساعة يشبه الانطلاق بسرعة ٧٠ ميلا في الساعة على الطريق المكشوف السوى .

واكتشفت بورتمان أنه باستطاعته تخطي الحفر والمطبات عن طريق زيادة السرعة حيث كان الثراب يبدو وكأنه لا تاع له ، وقد اضطر في إحدى المرات أن يخرج السيدات من السيارة ويضع قطعاً من الخشب تحت العجلات لكي لا يجعلها تلف وتغور بدون جدوى ، ورغم

ذلك فقد تأخر لمدة ساعتين بينما كان العرق يتصبب منه ومن يتسبون .

وكان يعتقد أنه قد سبق باترسون بمساحات طويلة والأهم من ذلك أنه قد أصبح متقلبا بمساحات بعيدة تاركا وراءه الجماهير . وكان مسرورا لتمكنه من الهروب من الموت والأمراض لأنه قد صدق الكلام الذي قاله الرجل الهولندي . وظل مثبتا نظره الى الأمام بحثا عنه . وأحيانا كانوا يشاهدون آثار المجنات التي تركتها سيارته على التراب . وكان بورتمان يود اللحاق بالرجل الهولندي لكي يجعل يتسبون وزوجته يركبان معه في سيارته .

ويطول ظهر اليوم الثالث انخفضت السرعة الى ١٥ ميل في الساعة . وفي بعض الأحيان لم يكن هناك أناس لمسافات تصل الى نصف ميل وبمجرد بدأوا يشاهدون مجموعات فجائية من الناس تضم كل مجموعة حوالي عشرة عائلات أو خمسة عشرة عائلة : العربية الكارو الثقيلة محملة بالفائف والربطات المرتفعة لأعلى ،

والأطفال موجودون فوق اللغائف ، والأبقار النحيلة
الرمادية تسير وراء العربات الكارو ، ثم كتلة من الناس
تضم ثلاثين أو أربعين فردا وتغطي مساحة مائة ياردة .
وكان الطريق يضيق تدريجيا لدى ارتفاعه لأعلى . وكانت
السيارة تمر بصعوبة بسبب وجود العربات الكارو .
وكانت البلاد سودها القفار والحراش مما جعل
بورتمان يكرهها . . لا شيء سوى الصخور المحترقة ثم
يليها المنحدرات الطويلة وإلى ما وراءها توجد أصابع
أشجار لصيرة نحيلة دب فيها اللون الأبيض بسبب
فصل الجفاف الطويل . ووراء تلك الأشجار كانت توجد
الغابة وهي غابة ليست خضراء أو رمادية وانما هي
زجاجية تحت أشعة الشمس البيضاء المباشرة .

وانعطفت الطريق داخلا إلى التلال المهيبة بالغابات
مثل قاع نهر أصفر أهيل التراب على جوانبه . وراحت
كوني ماك ناثيرن تفكر في باترسون . ان بورتمان
وزوجته لم يشعرا بأي حب تجاه بورما كما ان باترسون
وزوجته لم يصادقهما أى حظ هناك . أما الراحل برين
وباترسون فكانا يعرفان بورما جيدا ويحبانها . ولكن

ماذا كانت تعرفه هي عن بورما ؟ وشعرت أن معلوماتها
عن بورما أقل من معلوماتها عن باترسون ، لقد سبق
أن تقابلت مع باترسون بطريق الصدفة في إنجلترا ،
ثم تقابلت معه في بورما ، واعتقدت - في غياب شديد -
أنه كان على استعداد لأن يتزوجها ، وهكذا تطورت
الأحداث وبدأ كل من باترسون وبورما يتواريان في
اختفاء ، أصبح كلاهما متخلفين وراهما ورهما لن تتمكن
من مشاهدتهما مرة أخرى على الإطلاق .

وبعد ذلك سمعت فجأة بورتمان يصبح في وجه
المزيد من العربات الكارو والأهالي الزاحفين أمامه ..
وكانت هناك عربة كارو واقفة دون حراك فاضطر
بورتمان إلى إيقاف سيارته أيضا ، وكان ذلك التوقف
هو الشيء الذي يريد أن يتجنبه .

- ابعادوا ذلك الشيء من الطريق أيها الأغبياء ..
أبعدوه .. هيا !!

وكانت الوجوه التي التفتت لتنظر إلى الرجل
الانجليزي الصارخ في صياح مقلطمة مثل الأطباء

اشيطة • ولم يجتسم الناس • وعندما تحركت العربية
الكارو للأمام ساروا هم أيضا للأمام صامتين في مثل
صمت العربية •

وصاح بورتمان :

— اسحبوا العربية بسرعة !

وزاد من زئير موتورهِ في جنون ، وقال :

— انهم جميعا يشبهون بعضهم البعض • يضيعون
وقتا لا نهائيا مع كل شيء • سنظل عدة قرون لكي نخرج
من هذه البلاد •

واخرج يتسوق رأسه من النافذة الخلفية للسيارة
وصاح هو الآخر باللغة البورمية •

وقالت مدام ماك ناين :

— المستر بي-تون سيجعلهم يفهمون •

وقال بورتمان :

— انهم جميعا يشبهون الرجل الأصم لهم يسمعون
جيدا عندما يريدون ذلك .

وصاح بتسون مرة أخرى . وبعد مرور دقيقة أخرى
بدأوا يشبهون العربية الكارو ببطء على جانب لتفسيح
الطريق .

وقال بورتمان :

— شيء عجيب . الأغنياء يفهمون ا

وقالت كوني :

— ان لهم لغة واحدة . ولكن هذه اللغة ليست هي
اللغة الانجليزية .

فقلت مدام ماك ناثون :

— هذا يكفي . يا كوني ا

فقال بورتمان :

— شكرا لك !

وتحركت السيارة للأمام ثم عرّدت . فعاد
بورتمان السيارة للخلف ثم للأمام مرة أخرى وبسرعة
كبيرة في اتجاه العربّة الكارو مباشرة . فصرخت منام
مالك ناثيرن صرخة قصيرة . ونظرا لأن بورتمان كان يغطى
من إيقاف السيارة مرة أخرى فإنه قاد سيارته بجوار
حافة الطريق تماما وفجأة لم يجد مسافة بينه وبين
منحدر الصخر المتحترق الطويل المؤدى لأسفل نحو
الغابة القابعة في القاع . فسحب السيارة للخلف في
الوقت الملائم وقادها في أمان بين طيات التراب الحادع
الذى عرّدت فيه العربّة الكارو من قبل . وصاح لكي
يتم جذب العربّة الكارو على جانب مرة أخرى وراح يسب
ويلعن وهو ينظر من النافذة . فحدث عليه الشقاق
امرأة بورمية كانت تسير حاملة طفلها خلف ظهرها .
فجرى العرق لأسفل على وجه بورتمان وعلى رقبتيه
وصدره . وشاهد المرأة من النافذة وهي تلتقط حجرا
وعندئذ تذكر قصة الرجل الهولندي عن قتل خمسين
شخصا في شويبو . فتسرع بالخوف والدعر وتملكه
الغضب من نفسه .

وفي رعب وخوف صار يسيارنه مرة أخرى بعداء
حافة الطريق . وفي هذه المرة صاح يصرخون :
- لا يوجد هناك متسع في المكان تسير فيه أيها
الرجل !

فرد بورتمان صائحا :

- انني أعرف ماذا الفعل ! . . بالله عليك التزم
بالهدوء !

وبعدئذ مرة أخرى لم تكن هناك أية مسافات
بينه وبين منحدر الصخور أسفل . وبدأت السيارة
وكانها قد صعدت فوق الهواء اللامع . لم يكن هناك
شيء تحتها ولم يوقف التراب حركتها . وشاهد
شخصا ما يقفز لأعلى خارجا من التراب أمام السيارة
مباشرة . ولم يعرف أبدا ما اذا كان رجلا أم امرأة .
وخربت السيارة ذلك الهيكل ثم طارا سويا نحو
السماء . ويبدو أن وجه الهيكل كان يصبح . وفي
اللحظة التالية للسيارة كانت مدام مالك ناثيرن تضرب هنا



وفي لحظة واحدة انقلبت السيارة

وهناك بمظلتها . وكان هناك شخص ما يحاول فتح
الباب وأمامه كانت الحيوانات تجري مهرولة في جنون
وأعطت له في اللحظة الأخيرة حيزا ضيقا من المكان .
فجذب سيارته الى ذلك الحيز الضيق وتطاير الوجه
الرهيب . . تطاير الجزء الطائر من الورقة الانسائية .
وبعد لحظة أخرى انقلبت السيارة .

الفصل العاشر عشر

ولدى تنابع الوقت خلال اليوم وتدفق المزيد من الجواهر على الطريق فإن ما فعله الرائد قد بدا للهبى أمرا مذهشا للغاية . فوضع جهاز الراديو على دكتيه محاولا أن يفهم طبيعة ما يجرى من أحداث .

كان باستطاعته أن يفهم باترسون واخته وجميع الناس الموجودين على الطريق . فالتاس سمعوا بانودود بالفرار خوفا من العدو مثلما يفعل كل الناس المقلد . بل وكان باستطاعته فهم المستر يورتسمان الذى كان متسرعاً للغاية فى الحرب فى الاتجاه المضاد للاتجاه الذى صار فيه الرائد . وربما كان باستطاعته فهم المستر

بورتمان على نحو الفصل من لهجه لباقي الناس . فقد قسم له بورتمان نقودا وبعد ذلك طلب الحصول على ستة صفايح اضافية من البنزين وصنفيحتين من الزيت اضافيتين ولم يأخذ الصبي النقود ولم يتسلم ولكنه لهم الموقف .

كما كان يفهم المستر بتسون ايضا بسهولة كبيرة . وهو الذي كان يبعو عليه أحيسانا كانه يريد تعظيم رأسه . . كما فهم مدام بتسون التي عاملته بذلك الاعجاب الغريب المتعجب عندما قدمت له يد العيون والمساعدة في اشعال النيران . . وكان يفهم أيضا المدام هناك ناثيرن التي اخذت مظلتها الخيرية السوداء معها الى الهند . اذ بدت المظلة وكأنها أكثر أهمية من كونى . الا أن تلك الفتاة كان بمقدورها أن ترعى نفسها . اذ كانت أكبر من اخته بعامين أو ثلاثة أعوام . ولخته لم تكن ترعى نفسها لقط وانما كانت ترعى بانفسهم أيضا . والمظلة لم يكن بمقدورها أن ترعى نفسها . كانت مظلة قبة وغالية الثمن وصتكون ضرورية للغاية

فى خلال شهرين عندما تهطل الأمطار . كان من السهل
فهم وإدراك كل هذه الأمور .

ولكنه لم يفهم الرائد . فالرائد لم يكن يهرب
متجنباً للأمام وإنما رجع إلى الوراء . وأسوأ ما فى الأمر
أنه كان الشخص الوحيد فى بورما الذى يجرى إلى
الوراء . أما كل شخص آخر فى بورما فكان يجرى إلى
الأمام . وبدأ له أن الرائد قد تصرف بغباء شديد ومع
ذلك لم يحاول باترسون أن يعتقه من ذلك . بل ويبدو
أنه قد شجعه على ذلك . فهو لم تصبأ مع الرائد
بالأيدي فى شئ من الحزن ومع ذلك فى ابتسامة . كما
أن الرائد الممسك بالدراجة المحملة بالماء وبعض الطعام
القليل قد ابتسم هو الآخر . بل أن الأنسة أليسون
قد قالت : « آوه ! أيها الرائد ! » ثم ناولته فجأة
رسالة موجزة من أجل الدكتور فيلدنج بالمستشفى .
كان ذلك هو كل ما فى الأمر . وبعد لحظات كان الرائد
بدفع دراجته بين طوابير الجماهير الزاحفة ، مبتسماً فى
هنوء وملوحاً بيده .

لقد أدى هذا التصرف من جانب الراحل إلى إثارة
مشاعر القلق والاضطراب في كيان الصبي ، ولحكنه
أدى أيضا إلى تعظيم الروح المعنوية عند الأنسة آليسون .
أذ جلست وراحت تتأمل في الغبار الذي تحيم على
الطريق وسقط فوق الظهور العازية للناس . فهذا
الغبار المتصاعد دائما والهابط دائما على طول الطريق
كان من وجهة نظرها شبيها بالحرب . فقد أحدث
تشويشا على كل أفكارها وقتل كل الفرص المتاحة لها
لرؤية الأشياء في صدى ووضوح مثلما اعتال المسافات
نحت الشمس الزهيدة . بل وأغلق الباب في وجه
الدكتور فيلدينج .

لم يكن فيلدينج صغيرا في السن ، كان رجلا
ثقيل الوزن يبلغ من العمر ٥٩ عاما أو ٦٠ عاما ، وقد
خلع لفترة قصيرة في الجيش . وعندما وصل إلى بورما
جديته بعنف وثبتت انبساطه بحيث أصبح متشبثا
بالإقامة فيها بصفة دائمة . وقد حدث ذلك منذ عشرين
عاما . وأصبح الآن رئيسا للمستشارين الطبية ، وقد تمكن
من تحويل المستشفى من مجرد مستودع إلى مبنى له

حوادث بيضاء ، وحداثق قررى جيداً بالماء ، وتزخر
 بالورد والأزهار ، كان بمقدور فيلدينج أن يعمل
 كل ذلك ؛ يتولى بالرعاية شيئاً ضئيلاً ويحوله إلى شيء
 عظيم . ولقد فعل نفس الشيء معها شخصياً . فلقد
 كانت امرأة شبيهة قادمة لهويتها : فلا هي أوربية ولا هي
 آسيوية . . لا هي تنتمي لذلك العالم أو ذاك . . ولم
 يكن لها أية مكانة أو مركز اجتماعى إلا أن فيلدينج قد
 أعطاهما مركزاً بالمستشفى . إذ تعلمت مع ١٢ طهارة
 أخرى كل ما يتعلق بالتمريض فى خلال سنواتها الأربع
 التى قضتها بالمستشفى . وهي لم تعد الآن تخشى
 الموت .

لقد فعل فيلدينج كل ذلك من أجلها . ولكن
 عندما جاءت غظة اتخاذ القرار لم يكن لديها القوة
 التى تعينها على البقاء معه . كانت فعلاً تريد البقاء
 معه . ولكنها فى داخل نفسها كانت خاوية ، ثم قررت
 فى نهاية الأمر فى بؤس وبقاء النحاب مع الراءد برين .
 وما قد عاد الراءد برين وتساعد التردد والأحساف
 والخوف فى داخلها مختلطاً بأفكارها .

كانت تخشى من أن تقرر العودة ولكنها كانت
تخشى أيضا من المخاطر المحيطة بالاستمرار في السفر
بالسيارة فوق تلك الطرق الرهيبة . وكانت تشجع في
لحظات معينة أنها ترغب بشدة في العودة إلى فيلدينج ،
إلا أن فكرة سفر الراحل برين بمفرده وفي مواجهة كل
هذه الظروف وعبر السهل المحترق احتراقا مريعا ، قد
أخافها على نحو يفوق طاقة تحملها . كانت تريد أن
تشاهد فيلدينج مرة أخرى في العمل بالداخل . ولكن
قات الأوان لذلك . فقد كان ينبغي عليها أن ترجع مع
الراحل إلا أن الأمر كان رهيبا للغاية وكان يفوق طاقة
تحملها .

ولكن أفكارها المتدفقة توقفت فجأة في حوالي
الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، إذ كان الصبي
والفتاة يصيحان ..

وصاح الولد :

- سيدي باتسون - سيدي باتسون ! الآنسة

كون !

وعلى مسافة مائة ياردة على الطريق كانت كوني
تلوح بفراعيها في اشارات بطيئة . وقبل أن يتمكن
باترسون من إيقاف السيارة مباشرة قفزت الأنسية
أليسون من السيارة وسارت للأمام على الطريق .
كانت لحاية في الهدوء آنئذ وكانت تبدو طويلة للغاية
عندما وصلت الى مكان كوني وأخذت ذراعي كوني ماك
لأثيرن الملوحتين وانترعتيهما من السماء .

كانت مدام باترسون قد تصرفت بحكمة شديدة لدى
انقلاب السيارة .

وكانت مدام ماك ناثيرن تلوح بمظلتها في
جنون . . وفي المقدمة كان زوجها والمستر بورتمان
يصرخان في بعضهما البعض . وأصبح من المتوقع في
اية لحظة أن يخترق الحجر الذي كانت المرأة البورمية
قد التقطته التافلة . وكانت قد شابهت بوضوح
لبضعة لحظات تسلسل اللقطات . وعندما تدحرجت
السيارة في بطن جذبت هي المظلة من بين يدي مدام
ماك ناثيرن ووضعتهما كالحطاف في مقبض الباب .

وراحت تجذب في قوة وهدير الى ان فتح الباب أخذا
معها المظلة ، وبعد ثالية واحدة دلفت كوني مالك نائيرن
دفعة قوية فطارث الفتاة خارجة من السيارة ، وبعدئذ
خرجت هي الأخرى الا أن الأمر قد بدا لها وكأنها قد
خرجت بعد فترة طويلة ، وعندما خرجت اندفعت نحو
كتلة من الصخر وصفائح يثزين ، وفوق رأسها طارت
المظلة هابطة لأسفل من فوق المنحدر الشاهق مثل
عربة كارو طائرة في الهواء !

وعندما نهضت كوني مالك نائيرن على قدميها عقب
الوقوف على الأرض ، كانت على مسافة عشرين قدما
تقريبا أسفل المنحدر الشاهق ، واستلقت على جرف
من الرمال يقع فوق انحدار شديد آخر تحنها ، وبعدئذ
نظرت لأعلى فشاهنت حلقة من وجوه أناس بورهين
منحورين وواقفين عند قمة المنحدر الشاهق ، وفي لحظات
قليلة وصلت الى الأذرع الصفراء الطويلة التي تدلت من
المنحدر الشاهق وجذبت نفسها لأعلى .

وفي هذه اللحظة الرهيبة شمعت بالهدوء الشديد

ونظرت لأسفل من فوق حافة المنحدر الشاهق . كان
البورميون محيطين بها من جميع الجهات وكانوا يتعدهشون
ويصرخون وينظرون لأسفل . وبعبدا لأسفل وإلى
ما وراء المكان الذي تلتقي فيه الرمال والصخور كان
الغيار يتصاعد في بطنه إلى عنان الشمس مثل الدخان

المتصاعد الناجم عن حدوث انفجار . وتوقعت في كل
لحظة سماع صوت انفجار حقيقي إلا أن شيئا من ذلك
التبيل لم يحدث . وأسفل وجه المنحدر الشاهق توقفت
الصخور عن التساقط وتبدد الغبار . وكان هناك شيء ما
يلمع في الأماكن السفلية هنالك . . لقد كان ذلك الشيء
هو مظلة مدام ماك نائيرن .

وشعرت كوني ماك نائيرن بالغيثان الشديد . لقد
أدركت أن كل شيء قد انتهى . وأدركت أنها بدأت تدخل
في دائرة الأشياء وأنها تسقط من فوق الحافة منحصرة
وداخله هي تجربة الموت . . وبعدئذ أدركت أن المظلة
كانت تنزلق على حافة الصخرة إلى أن اختفت تماما .

وعندما عادت إلى وعيها وجدت نفسها جالسة على

الطريق تحت ظل صخرة . وكانت هناك امرأتان
بورسيتان تقنعان لها الماء من زجاجة . وشعرت بشفتيها
متشققتين وميتتين . وفجأة بدأت تفكر في باترسون
رأى ذلك إلى شعورها بالارتياح . ولأن باترسون كان
ما زال موجودا فإن الباقي لم يشكل أهمية بالنسبة
لها . وشربت جرعة أخرى من الماء . وبينما كانت تشرب
انصرفت إحدى النساء الشابات ، ثم عادت بعد مرور
بضعة دقائق ، وقد حملت معها فاكهة ملفوفة في قطعة
من القطن الأزرق . ووضعت الفاكهة فوق ركبتى
الفتاة .

وفجأة شعرت الفتاة بالفشان الشديد مرة أخرى .
وهربت الحياة من وجهها . وتذكرت اسمائها الحقيقية
يدعا ، وبعد ذلك لم يكن هناك أى شيء . وبدأ لها
أنها تسبح مبتعدة وخيل إليها أنها تسقط مرة أخرى
من السيارة .

وعندما عادت لوحدها مرة أخرى وجدت نفسها
مستلقية في عربة كارو مع وجود فماشي من نوع ما

فوق وجهها . لم تكن لديها الرغبة في التحرك . كل
 ما كان باستطاعتها عمله هو أن تفكر مرة أخرى - في
 ارتياح كبير - في باترسون . ولم يحضر اليها أحد في
 معظم أوقات فترة ما بعد الظهر في ذلك اليوم ، وهي لم
 تفهم من استلقائها . وبدأ عليها أنها قد أصبحت
 بمفردها تماما باستثناء باترسون . وكانت بذلك
 سميكة للغاية . فان عاجلا أو آجلا سيلحق بها
 باترسون ، وعندئذ سيصبحان سويا بدون وجود أمها
 لأول مرة منذ أن قابلته في إنجلترا . سيصبح
 بإمكانهما الذهاب إلى الهند سويا ، سيصبحان أحرارا .
 وهم سيشعر بالأصف الشديد لما حدث لها . وشعرت
 بالبهجة لأن والدتها قد ماتت . وشعرت بالبهجة لأن
 بورتمان وزوجته قد ماتا . فكافة الأحقاد القبيحة قد
 انتهت فجأة . ولم يتبقى أي شيء من تلك الحياة القديمة
 سوى مظلة والدتها .

ورفع القماش عن وجهها مرة واحدة خلال تلك
 الفترة من بعد الظهر . اذ كانت المرأة الشابة قد حضرت
 لتزى ما اذا كانت هي في حاجة لشرب الماء . وعندما

رفعت زجاجة الماء الى شفيتها تذكرت انه لا ينبغي ان
تشرب الماء . ولكنها كان بمقدورها شم رائحة الحيوانات
في الهواء الساخن وكانت الشمس تقرب فنوق
وجهها . . . ففجأة احسست انها باحتياج شديد للماء مع
العطش الرهيب ولم يهمها ما حدث . واحتفظت بزجاجة
الماء الى جوارها عندها استلقت مرة أخرى .

وعندما توقفت العربية الكارو اخيرا كانت الشمس
تغرب وراء التلال وكان بمقدورها ان تشم دخان
النيران . فنهضت من استلقائها وأدركت ان العربية
الكارو قد تركت الطريق ودخلت الى قرية . وكانت
هناك فواكه معروضة للبيع في دكاكين قليلة بها لمبات
مشتعلة . ولم يكن هناك خوف في هذا الشارع الصغير ؛
حيث لم تكن أنباء هروب الجماهير قد وصلت الى هذا
المكان . الا أنها شعرت فجأة بالخوف الشديد . حيث
احسست كأنها قد وقعت في مصيدة وضاعت من
باترسون . . . اذ كانت تعشى من احتمال مرور باترسون
عندها بسيارته بعد فترة قصيرة . ويمر عند المكان الذي

يمكن ان تراه فيه مرة اخرى في حياتها ، وبدأت تخشى
من أن يعتقد هو أنها ماتت .

وعندئذ أدركت أنه ينبغي عليها أن ترجع . .

وبعد أن دفعت مدام بتسون الفتاة الى خارج
السيارة وبدأت تسقط هي الأخرى من السيارة فانها
هلت معلقة للحظة رهيبة حيث تشابك الحزام الجلدي
لنفساتنها مع مقبض الباب . فراحت تكافح في جنون
للحفاظ على نظارتها مغطية وجهها بكفتي يديها . وبعدئذ
سقطت بدون أن تدور في ذهنها سوى فكرة واحدة :
« نظارتي ! نظارتي ! نظارتي ! » . . . اذ كانت تدرك
انها لن تتمكن بدون النظارة من الرؤية على الاطلاق .
ولم ينظر على ذهنها على الاطلاق انها ربما قد تلتقي
حتفها . وفي مكان ما كانت هناك حطام هائل لزجاج
متكسر .

وعندما ارتطمت هي بالرمال فان السرعة التي
اكتسبتها من سرعة السيارة ألقت بها لسافة بعيدة

اسفل المتحدر . وتدحرجت وسقطت لمسافة طويلة
وكانت طوال تلك اللحظات تضغط بيديها على نظارتها .

وعندما توقفت عن السقوط وقفت منتصبة القامة
وعى تلك اللحظة فقدت نظارتها . ونظرا لحوقها من
السقوط على وجهها فانها مدت يديها وعلى الفور قفزت
النظارة عن وجهها . وبدون النظارة شعرت بالضيق
الكامل .

وبدا لها أنه من الغباء الشديد أن تسقط على طول
تلك المسافة بدون أن يصيبها أدنى ضرر . وبعدئذ تفعل
شيئا ما غاية في السخافة في اللحظة الأخيرة . ونظرا
لعدم مقدرةها على الرؤية فقد وفتت وامت يديها . وكان
لديها التصرف السليم حيث التزمت بعدم التحرك على
الاطلاق . وكانت قد فقدت قبعتها وبدأت الشمس
تضرب بعنف فوق قمة رأسها بوحشية مثل كتلة من
الرصاص الساقطة فوق رأسها . . . ومن مكان ما فوقها .
بدأت صخرة في السقوط مائلة الوادي بالضربة
والضوضاء . وعندئذ أصابها الرعب الشديد والتفتت

نحو اتجاه الصوت وبدون أن تشاهد شيئا سقطت
لأسفل .

ووضعت يديها على الفور تقريبا على نظارتها ومرت
الصخرة بجوارها مع اندفاع في الهواء وضربت
الأشجار الموجودة بالأماكن السفلية واستلقت
النظارة على الرمال بدون أن تكسر وبدأ لها أن شيئا ما
عجيبا قد حدث .

وبدأت الرعشة تدب في كيانها كله ولكنها بعد
دقيقة أو دقيقتين بدأت تضع نظارتها على عينيها وشعرت
بالتحسن . أصبح بإمكانها أن تزد أن ترى وأدركت أنها
قد انزلت الى حافة رف صخري . . وعندما نظرت الى
أعلى نحو المنحدر الصخري أصابتها الممسة بعض الشيء
لأنها لم تستطع مشاهدة الطريق . ولكن هذا لم يهمها
كثيرا . وبدأت تهبط على سطح الصخرة مستخدمة يديها
ولكن الصخرة كانت شديدة الحرارة على يديها . حتى
أنها لم تستطع تحمل ذلك أكثر من ثوان قليلة .
واستغرق ميوطها على آخر رف رملي تحتها حوالي نصف

ساعة ، ولم يبد لها أن هذا أمر غريب عليها . فهي
قد احتفظت بنظارتها وشعرت أن باستطاعتها أن تفعل
أكثر من ذلك .

وأخيرا استراحت وأسندت ظهرها على صخرة ثم
نظرت لأسفل نحو شريط الأشجار تحتها . وفي مكان
ما في منتصف تلك الأشجار كان الغبار الأصفر الناجم
عن السيارة المحطمة مازال يتصاعد نحو الشمس .
ولم تتمكن من الرؤية جيدا للحظات . نظروا لأن العرق
كان يتصبب عابثا على وجهها ونظارتها فأصبحت عدستا
النظارة مليئتين بالفيوم . فخلعت نظارتها وراحت
تنظفها بردائها وعندما وضعت نظارتها على عينيها مرة
أخرى شامت شيئا مذهلا !

كانت مظلة مدام ماك ناثريين ملقاة على مسافة
ثلاثين أو أربعين ياردة على شريط الرمال . لمسارت
ببطء نحو المظلة والتقطعتها . وحتى تلك اللحظة لم
تكن قد فكرت في أي إنسان آخر ، إلا أن المظلة ذكرت لها
بكل شيء : بتسون وبورتمان وزوجته ومدام ماك ناثريين

والفتاة . وتذكرت أنها دخلت الفتاة الى خارج السيارة
في تلك الثواني الرهيبة الأولى .

ولدى وقوفها هناك وقد أمسكت بالمظلة في يديها
وكانت تمسك المظلة من قماشها نظرا لأن المقيض كان
ساخنا للغاية - تمكنت من مشاهدة المكان الذي شئت
فيه السيارة طريقها بين الأشجار الرقيقة . وفوق هذا
المكان تماما طارت المقطورة منفصلة . . وأدركت أن
سيارة بورتمان الثقيلة قد أحدثت تمزيقا بين سيقان
النباتات النخيلة مثل حيوان ضخم يشق طريقه بين
أعشاب طويلة .

وفي الهواء الساخن كانت هناك راحة بنزين
قوية . وحلق طائر ضخم في السماء ملقيا قدرا هائلا
من الظلال . ثم انصرف بعيدا وكان هناك حطام
سيارة بورتمان هتروكا على التراب الرمل .

كانت السيارة المعطمة ملقاة على جانبيها . مع
وجود غصن في داخل النافذة المكسورة الزجاج وكان
ذلك الغصن يشبه تماما السهم الذي يثبت ذلك الشيء

يا كمله - وبعد لحظات فليكن شاهدت مدام بورتمان .
وكان باب السيارة قد خلع شمزقا وعلى الرمال كانت
مدام بورتمان مستلقية ووجهها متجه لأعلى وقد قتلها
الشمس المتوحشة الحارقة . ولم يكن هناك أى صوت
منبعث من السيارة المحطمة ويبدو أنه لم يكن هناك
أى صوت صادر عن مدام بورتمان إلى أن اقتربت منها
مدام بتسون وانحنى إليها .

- أوه ، ساعدنى يا الهى ، اكراها الله ساعدونى
.. أوه .. فليساعدنى الله ، يا الهى ! يا الهى ! ..

وفتحت مدام بتسون المظلة ووضعها بسرعة
ويرفق فوق وجه مدام بورتمان ..

• الفصل الثاني عشر •

وضع الصبي فوق قمة المنحدر الشاهق مع نادية وبارسون فاطرا لأسفل ، لم يكن هناك أي شيء يدل على أن السيارة كانت هناك باستثناء صفيحة بتزين واحدة معلقة في شجرة ، كانت الرمال الصفراء مبتلة لمسافة بعيدة وشاغرة تحت وهج الشمس ، وكان جميع الناس الذين شاهدوا السيارة وهي تنقلب قد انصرفوا باستثناء كوني ماك فايزر ، وأدرك الصبي تماما أنه لا يوجد أي شخص على قيد الحياة في ذلك المكان السفلي هناك ، وأدرك أنه حتى لو كان هناك أهل في وجود أناس على قيد الحياة لكان الأمر مختلفا تماما ، إذ لا ينشأ أن يترك شخص ليموت ، تلك كانت هي

تعليمات بوذا - فلو كانت هناك أدنى فرصة للحياة ،
لكان الناس قد يذلوا كل ما وسعهم لأعمال الانقاذ .
كل هذا كان من السهل ادراكه وفيه ، فهو أبسط
بكثير مما فعله الراهب برين .

وكانت لباترسون أفكار مختلفة .

وتساءل :

- يا قيوسداي . . لو قزلنا الى هذا المكان المنخفض
هل نتمكن من الرجوع ؟

لقال الصبي :

- لا أخذ هنالك !

- لا يهم ذلك . هل سيكون باسم تطاعتنا ان
ترجع ؟

- لا أخذ هنالك !

لم يتكلم باترسون - وظل واقفا لبعض الوقت
يرقب ويشاهد .

وقال الصبي :

- انتهى كل شيء !

وقال بارسون :

- ابحث عن مكان • ابحث عن ممر !

- لا يوجد ممر يا سيدي بارسون • لا يوجد

ممر جيد !

- اذهب والقي نظرة وبعدئذ أخبرني •

- كل شيء قد انتهى ! •

- متذهب نادبة معك • اذهب والقي نظرة •

فهز الصبي رأسه مبتسما باستمرار :

- انتهى كل شيء • لا أمل ! •

- اذهب وانظر •

- وهو كذلك يا سيدي بارسون •

ثم سار الولد في بطنه منصرفا •

ورجع باثرسون إلى السيارة . كانت كوني
والآنسة آليسون جالسين في الخلف . وكانت الفتاة
الانجليزية هادئة على نحو يدعو للمدهشة من وجهة نظر
باثرسون . أما الآنسة آليسون التي كانت السائدة
ضعيفة ومتهالكة من قبل فقد أصبحت آنثد مليئة بقدر
كبير من الحيوية فكلتاها كانتا تتحليان بضبط النفس .

وقال :

- كيف حالها ؟

فجالت الممرضة :

- لقد أصيبت بالصدمة بعض الشيء . وينبغي
عليها أن ترقد .

- كم تبعد عن هنا القرية التي تحدثت عنها
يا كوني ؟

- لقد قطعت المسافة في ساعتين .

- سأخذك إلى هناك وبعدئذ أعود .

• نظرت عليها الدهشة البالغة •

وقالت :

• - تعود ؟ هل يجب أن تفعل ذلك ؟ •

• - ربما هازلوا أحياء •

وبدا أن كلماته قد ضمنتها على نحو مريع وعلى
نحو يفوق الصدمة التي أصيبت بها لدى تحطم
السيارة • ثم فقدت السيطرة على نفسها • ورفعت
ذراعها لأعلى أمام وجهها وانفجرت في البكاء فجأة •
وجلس يترسون في مقعد القيادة •

وقال :

• - سبأنزلها إلى القرية • • فهي بحاجة لأن تنام •

ولم يستطع التفكير في شيء أفضل من ذلك لكي
يقوله وقاد سيارته في رفق للأمام •

وقالت الآنسة اليسون في وفق :

- استسلمت لى للخلف ابنى احبك .. هونى عن
نفسك باليكاء !

فصاحت الفتاة :

- لا اريد ان يحبني احد :

وراحت تضرب يديها هنا وهناك مثل شخص
يخشى من ربطه بالقيود .

وقالت :

- دعونى وشبانى ، وهيا بنا نواصل المسير .
ولماذا ينبغي علينا ان نعود ؟ .. اننى لا أستطيع تحمل
ذلك .

واستمر باترصدون لى قيادة سيارته ولم يكن
يعرف ماذا يقول .

وقالت هى :

- اذا كانوا قد ماتوا فهم قد ماتوا اليس كذلك ؟

وراحت تضرب يديها على ظهر باترسمون وهي
تقول :

- هذا جنون ! جنون !

وقال :

- اننى اقوم بالاجراء السليم . لا يمكن ان
نتركهم هكذا بسهولة !

- وأنا اقول لك انهم قد ماتوا بكل تأكيد . لقد
شاهدت ذلك بنفسى . فكيف يمكن لهم الخروج من تلك
النيران ؟

فقال فى حدة :

- النيران ؟

كانت هذه أول مرة يسمع فيها عن حـسـوث
نيران .

- لقد ظلت النيران مشتعلة طوال فترات ما بعد

الظهر . وسبق ان قلت لك ذلك .

فقال مفكرا :

- لا . أنت لم تقوى لي ذلك .

- لقد شاهدت الديران بنفسى ا وانا اعرف الامور
التي شاهدتها والامور التي لم اشاهدها . فلا تجرلى
عائدا اليها . لقد اصابنى ما فيه الكفاية .

وكانت تبكى وتصيح لى يأس فى تلك الآونة
وتوقفت عن الضرب بيديها على ظهره .

وقالت مرة اخرى :

- لقد اصابنى ما فيه الكفاية !!

وكان العرق قد بدأ يتدفق منحدرًا على وجهها
ومختلطا بدموعها بسبب حرارة الجو ، وكانت قد
اعتدلت فى جلستها .

وقالت :

- اننى أكره هذه البلاد كلها . . أريد الخروج

منها . لا أريد رؤية أى جانب منها أبدا مرة أخرى !

فقال :

— وهو كذلك . . أعرف ذلك !

وصعد تيوسداى على الطريق لما وقف بانرسون
السيارة وخرج منها . ولدى خروجه شاهد الفتاة مرة
أخرى وشاهد الرعب فى عينيها لبضعة نوان كما لو
كانت تعرف ما يدور فى ذهنه . وهو كان يفكر فى أنها
كانت كاذبة وأنها انصانة كذابة بشكل عجيب للغاية .

وسار قليلا ليقابل تيوسداى ونظر عبر الوادى
وهو يحمى عينيه من ضوء الشمس . لم تكن هناك
أدنى دلائل تدل على وجود نيران .

وقال الولد :

— لا شيء هنا . . كل شيء قد انتهى هنا .

وابتسمت نادية هى الأخرى وذهبت الى مقدمة
السيارة .

— هل شاهدت أى شيء ؟ هل رأيت النيران ؟

— النيران ؟ لم تكن هناك نيران !

وقوسى باترسون يديه فوق عينيه ونظر لأسفل .
وداح بفكره : اذا نظرت لفترة أطول يمكننى رؤية أى
شيء .

وقال :

— عليكم بالبقاء هنا ، ولستوف أعود اليكم .

— هذا التصرف غير سليم يا سيدى باترسون .
المكوث هنا غير سليم .

— عليكم بالبقاء هنا ومراقبة الموقف .

— هذا ليس تصرفا سليما يا سيدى باترسون !

— سأعود فى خلال نصف ساعة . ابحث عن
النيران .

— النيران يا سيدى باترسون ؟ .. لا شيء هنا .

لا نيران !

- ابقوا هنا وراقبوا الموقف . هل يوجد ممر ؟

- لا يوجد ممر يا سيدي باترسون . ولا سبيل
الى النزول لأسفل . لا سبيل !

- امكثوا هنا وراقبوا .

- يا سيدي باترسون !

وتوسل الولد لكي لا يترك هنالك . وبدأ عليه
وكانه يدرك أن باترسون قد لا يتمكن من العودة على
الإطلاق . وتجمد جسمه في المكان الذي يقف فيه ملتزما
بالطاعة الرهيبة في مواجهة هذا الاحتمال المخيف .

وبعد لحظات انطلقت السيارة واختفت وراء
الصخور الصفراء البنية . وتصاعد الغبار وهبط أمام
وجه الصبي وبعدئذ استقر فوق الطريق ولوح
الصخور ولوح جسمه .

وبعد نصف ساعة عاد باترسون وكان الصبي
راقدا على الطريق . وراح الصبي يشير الى أسفل في
بطء باصبعه . فالتفت باترسون لأسفل .

وللآل الصبي :

**- انظر لأسفل يا صيدى بانسون . هل ترى ؟
هناك الى أسفل .**

ثم قال وهو يتسهم مرة أخرى :

- تيران صغيرة !

الفصل الثالث عشر

ثم تفكر مدام بتسون في النيران حتى حلول
الفترات المتأخرة من بعد الظهر . إذ هبطت الفكرة
عليها عندما تذكرت الولد العزيز والآخرين معه
الموجودين في سيارة بانرسون .

فقد كان ذهنها مشغولا حتى تلك اللحظة بأمور
أخرى . لقد كان بورتمان وبتسون وخدام ماك نايرين
في حالة وفاة بالسيارة وهي قد قامت بتغطية جثثهم
بالسيخا جيد . كما حاولت اغلاق الناقلتين الوحيدتين
للسيارة والتي يمكنها الوصول إليها إلا أنها لم تتمكن
من اغلاقهما تماما . وكانت تعرف جيدا ما يمكن أن

يحدث للأجساد الميتة في خلال عشرين أو ثلاثين ساعة .

وفي خلف السيارة كانت هناك صناديق الطعام .
إلا أن الغطاء كان قد التصق وكافحت لكي تفتحه تحت
وحالة حرارة ما بعد الظهر العتيقة دون جدوى فقررت
إرجاء ذلك حتى حلول الصباح . وبالقرب من مدام هناك
ناثيرن فوق المقعد الخلفي للسيارة كانت توجد صفيحة
ماء وحيدة بها جالونان من الماء وخلفها كانت توجد بنقلية
بورتمان . ولم يبد على البنقلية أن لها أهمية كبيرة .
فهي لم يسبق لها على الإطلاق أن استخدمت بنقلية
في حياتها ولذلك أخذتها وتركتها مع الماء بجوار مدام
بورتمان .

لا شيء من هذه الأشياء أعطتها الراحة التي وجدتتها
في امتلاكها بنفسها . ففشارتها والمقص قد زوداها بمزيد
من القوة تفوق القوة التي حصلت عليها من وراء بنقلية
بورتمان . وهي كانت تستخدم المقص في منزلها لقطع
الأزهار والنباتات المتسلقة الموجودة بالحديقة وكانت

تحتفظ دائما بالمقصى مربوطا حول رقبتها بقطعة من
الشريط لكي تكون جاهزة دائما .

وعندما اكتشفت أن المقصى مازال موجودا حول
رقبتها انفجرت في الضحك . وبعدئذ انجذبت إلى مدام
يورتمان وكانت قد حملتها إلى ظلال الأشجار ولكن حتى
تحت الظلال كانت الشمس تهب في وحشية من خلال
الأغصان العلوية الرقيقة .

وطالت :

- لقد عثرت على مقصى . - لازال المقصى موجودا
حول عنقي ! .

كانت مدام يورتمان نرقد بلا حراك على ظهرها
بدون أن تتكلم .

- لقد حصلت الآن على مقصى وباستطاعتنا أن نفعل
أمورا كثيرة .

وعثرت مدام يورتمان على صوتها في شكل صيحة
الم رهيبة .

• وإذا تمكنت من فتح الجزء الخلفى من السيارة
ساعد لك بعض الشئ • فالشئ سيجعلك تشعرين
بالتحسن •

التظارف ثم المقص وبعدئذ الشئ • ولدى تفكيرها
فى هذه الأمور الثلاثة أصبحت بالمزيد من القوة • ولم
يسبب لها ضغطها وأخطاؤها فى الماضى أى إزعاج • كان
أمامها شئ ما آخر لتواجهه فى تلك اللحظة • فخلعت
ردائها وراحت تقطعه الى قطع صغيرة مستخدمة
المقص •

وما داته على جسد مدام بورتمان فى وقت متأخر
من بعد ظهر ذلك اليوم لم يقلل من القوة التى حصلت
عليها • كانت تشعر بهدوء عجيب كالثلج • وصنعت
وسادة صغيرة من ردائها • وغطت الجزء الأوسط من
الجسد بذلك الوصادة نظرا لأن ذلك الجزء كان متهتكاً •
وأخذت قطعاً أخرى من القماش ووضعتها على الأرض •
وبعدئذ حركت جسد مدام بورتمان فى رفق إلى أن
أصبحت قطع القماش تحتها •



وقالت لها : ساعدك بعض الشيء

وربطت القماشى مع المرساة كنوع من الحماية
الى ان اصبحت مريحة على النحو الذى تريده .

وبعد ذلك بدا على المدام بورتمان وكأنها قد راحت
فى نوم مزوج بما يشبه الانعواء . وجاء الليل الصامت
بطريقة فجائية للغاية حتى ان الوقت كان متاخرا للغاية
بحيث لا يجعلها تقوم بمحاولة أخرى لاجراء الطعام من
مؤخرة السيارة . وجلست مستيقظة طوال الليل مع
السيدة بورتمان . وكانت تتكلم فى بعض الأحيان
بصوت مرتفع موجهة الكلام لنفسها أحيانا وللمدام
بورتمان أحيانا أخرى . وكان كلامها يدور حول ما كانت
تفعله أو حول ما اعتادت أن تفعله .

وفى الساعات المبكرة من الصباح بدأت تشعر
بالبرد ولذلك نامت مع المدام بورتمان تحت المظلة
المفتوحة الى ان شاهدت بضائر طيور الغابة مع شروق
الشمس بأشعتها الساطعة .

واستغرق منها فتح مؤخرة السيارة نصف الفترة
الصباحية . وعندما انتهت من عملها اصبحت غارقة

في العرق الخمر . ومع صناديق الطمام عشرت على
بعض الآلات والمعدات بالاضافة الى مضخة وصفيحة زيت
وشعرت بالابتهاج لدى العثور على الآلات . حيث كان

وبينما كانت تعد المأوى كانت تتحدث من وقت
لآخر مع مدام بورتمان . وكانت تبلل شفيتها بالماء
في رفق وكانت تقدم لها الماء والشراب في إحدى القبايع
التي عشرت عليها . ولم تكن عينا مدام بتسبون هي التي
تتجول هنا وهناك آنئذ وإنما التي كانت تتجول هي
عينا مدام بورتمان حيث كانت تنظر في صمت لأعلى
بحثا عن الراحة .

— هل أنت على مايرام . اليس كذلك ؟ . . انني
أصنع لك الآن مأوى . وبعدئذ .

وماذا بعدئذ ؟ لم تكن مدام بتسبون تعرف ماذا
تفعل بعد ذلك . فتوقفت عن الكلام فجأة . الا إنها
تذكرت عندئذ ما كانت هي على وشك أن تقوله :

— سأذهب طلبا للنجدة والمساعدة !

ذلك هو ما كانت تريد قوله .

كيف ؟ .. كانت تدرك جيدا أنه لا سبيل للحصول على المساعدة .. إلا أنها طردت هذه الفكرة من ذهنها في غضب . الأهم من ذلك أن تعد المأوى .

وشرعت في اعداد الأخشاب واكتففت أن ذلك كان أمرا سهلا . وراحت تجرى هنا وهناك في اضطراب وهي تقطع عرقا وبدأت تشعر بالموجة الأولى الشديدة للعطش . وكانت تشعر بالجوع الشديد أيضا . كان كل جسدهما أجولًا من الداخل .

وانتهت من بناء المأوى في فترة ما بعد الظهر . كان يشبه الصندوق . كان مصنوعا من جانبيين ووسطح يبلغ اتساعه حوالي أربعة أقدام وارتفاعه حوالي أربعة أقدام أيضا . وكانت شرائح الأخشاب تسمح بدخول الضوء والهواء إلا أنها كانت تلقي بالظلال في نفس الوقت . وفي جو ما بعد الظهر الساكن لم تتحرك أية نسمة من الهواء . وظلت هدام يتسبون لفترة طويلة جالسة عند طرف المأوى بجوار رأس هدام بورتمان .

وكانت تحرك خريطة جيثة وذهابا كالمروحة على وجه
مدام بورتسمان حيث كانت قد عثرت على تلك الخريطة في
السيارة . وتجمع المزيد من الطيور فوق الأشجار وفي
بعض الأحيان كان ظل عظيم يعبر فوق الظلال الخفيفة
الناجمة عن السطح . ومن وقت لآخر كانت تسمع وجه
مدام بورتسمان بمندبل مبلل .

وفكرت في الشاي مرة أخرى . لقد كانت مشغولة
لنفاية في بناء المأوى ومرهقة للنفاية تحت وطأة الحرارة
حتى أنها تسيث الشاي . ودبت في كيانها آئذ إثارة
جديدة وأعطائها النشاط شعورا بالارتياح . فمسكها
القبيحتان ذات الأصابع الطويلة والثان لم يحبهما أي
شخص أبدا أصبحنا فجأة مقيدتين .

— معاذ لك الآن قدرا من الشاي ! هل تحبين

ذلك ؟

وانحنت فوق مدام بورتسمان في إثارة هائلة .

وبعد ذلك تذكرت ذلك الصبي الطريف . ولم يكن

بإستطاعتها التفكير في تيوسداي بدون التفكير على الفور
في أعداد النيران . وكانت فكرة أعداد الشاي أنشد
مثل فكرة الأعياد . لم تستطع مقاومة أغرائها . وشعرت
أنها ستعود عليها بالنفخ . إذ يمكنها أن تعد وجبة
طعام .

وراحت تجمع قطعا من الخشب وتتجول تحت
حرارة الشمس وهي تكاد تكون عارية من الملابس .
وعندما أدارت مدام بورتمان رأسها في بطن وشاهدت
ذلك الهيكل العجيب يتجول هنا وهناك بحثا عن قطع
من القش فإنها شاهدته كهيكل في حلم مخيف .

وبدأت مدام بنسجون نشعر بالضيق عندما تذكرت
أنها ليس لديها شيء لأعمال النيران . وحاولت إزاحة
الغشاوة عن ذهنها . وقالت لنفسها إن علم تذكرها
لهذا الأمر البسيط يدل على القباء الشديد .

وضربت الشمس بمنف فوق قمة رأسها وخلعت

تظارئها لتمسحها مرة أخرى . وبينما كانت هي ممسكة
بنظارئها شمعت بالشمس تنفذ من داخل الزجاج حارقة
جلدها في وحشية شديدة للغاية مما جعلها تصرخ بأعلى
صوتها .

وعلى الفور اتحت فوق الأوراق والقش ممسكة
بنظارئها وأخذت توجهه بؤرة عدسها إلى أن اشتعلت
النار . ودبت فيها الآثار والاضطراب فسقطت نظارتها
من يديها فوق إحدى الأحجار . فالتقطتها بسرعة
وشاهدت شرخا رقيقا عبر حافة العين اليسرى بسبب
الاصطدام بالحجر . إلا أن بهجتها تزايدت عندما نظرت
إلى السنة اللهب الناجمة عن النيران التي أشعلتها .

وبعد لحظات قليلة ارتفع الدخان عاليا ووصل إلى
تلس ارتفاع الطيور المحلقة في السماء فوقها .

الفصل الرابع عشر

وفي القرية اكتشفت الأنسنة آيسون كوخا
شاعرا . وكان هناك شيء ما لم تحبه فيما يتعلق بالمظهر
العام للأنسنة مالك ناثيرن . وراث أنه يمكن لها وللأنسنة
مالك ناثيرن أن تتأما سويا في الكوخ . وكانت تحتفظ
معهما بحقيبتها الجلدية المليئة بالأشياء الثمينة وخطر على
ذهنها أن تأخذ درجة حرارة كوني مالك ناثيرن .

وعثرت عليها وهي تتجول هنا وهناك بالقرب من
الدكاكين الصغيرة .

وتساءلت كوني :

— ترى ما هو السبب في تأخر المستقر باترسون .
ولماذا لم يحضر حتى الآن ؟

- ربما قد وجد شيئاً ما !

- وما الذي يمكن أن يكون قد وجدته هناك ؟

- لا أعرف !

- أعتقد أن هذا خطأ ، أعتقد أن هذا جنون ! كل هذا لا لزوم له !

كانت تصرخ بهذه الكلمات الأخيرة فحاولت
الآنسة اليسون تغيير موضوع الحديث .

قالت الآنسة اليسون :

- لقد عثرت على كوخ شاعر ، ويمكننا أن ننام
فيه سوياً !

- شكراً لك - سأنقذ في الحيلة . فانا دائماً أقام
في الحيلة ..

وغيرت هي الأخرى موضوع الحديث فجاءة حيث
قالت :

— أنا ذاهبة لشراء بعض الفواكه .

فكانت الأنسة أليسون :

— لا ينبغي أن تفعل ذلك .

— أريد بعض البرتقال . فأتا أشعر بالعطش .

وأشارت بيدها إلى البرتقال . كان الضوء أخذاً
في التلاشي وكان أرجوانياً ولحاسياً . وراح عسك
قليل من الطيور الصغيرة تبحث عن الطعام بين ذرات
التراب .

والتعلت كوني بعض البرتقال .

وقالت باللغة الانجليزية :

— كم الثمن ؟

فكانت الأنسة أليسون :

— حقا لا ينبغي أن تشتري . ليس من المستحب
أن تشتري فاكهة في هذه القرى . والأفضل من هذا أن

تشربى فليلا من الماء الموجود لدينا . فهذا أكثر أمنا .

— كل هذا كلام فارغ . فبرغم كل شيء ظلمت
طوال اليوم بالأمس أشرب ماء وماذا فعل بى ذلك الماء ؟
ولم يكن ذلك الماء الذى شربته من الماء الخاص بنا .

وصدمت الأنسة آليسون تماما ولم تتكلم .
ووقفت كوني فى غضب ومعها يرتقالة خضراء فى يديها
كما لو كانت ستقذف بها على الوجوه التى تعلل من
الظلال الواقعة خلف المأكلة . وسارت الأنسة
آليسون .

وبعد دقائق ذهبت عندما شاهدت سيارة
بافرسون قادمة مثل كرة من القبار كتدفع فوق الطريق
وجرت الأنسة مالك ناثيرن فى اشارة متخطية الأنسة
آليسون .

وتساءلت كوني :

— هل وجدت أى شيء ؟

فقال بافرسون :

— وجدت شيئاً عجيباً . . . كانت هناك نيران !

فقلت كوني بسرعة :

— لقد قلت ذلك . لقد أخبرتك بذلك !

وقالت الأنسة أليسون :

— أي نيران تلك ؟ . . . أمي نيران السيارة ؟

فقال باترسون هي اوهلاك :

— يمكن ان تكون أي شيء . قال بسيارة هازالت

تستعمل ومازال جزء من الغاية مشتتلا بالنيران .

وقالت الأنسة أليسون :

— هل يمكن ان يكون هناك أي فرد منهم هازال

على قيد الحياة ؟ . .

— سنعمل على استكشاف ذلك غدا . .

فقلت كوني :

— هذا يعنى المزيد من التأخير . هل ينبغي علينا
أن نأخر ؟

فقال باترسون :

— هيا بنا تناول بعض الشاي . فانا أشعر
بالإرهاق الشديد .

وانجهوا بالسيارة الى كوخ الأنسة أليسون
واستلقى باترسون متمددا على الأرض بينما أخذ
ثيوسداى يعد الشاي . وكان يشعر بشيء يفوق حدود
التعب والإرهاق . إذ كان الشعور بعدم الجدوى قد بدأ
يخيم على الرحلة بأكملها منه أن سيقفهم بورتمان للأمام
منطلقا بالسيارة الأخرى ومنفصلا عنهم . وعاد باللوم
على نفسه لأنه قد سمح بحدوث ذلك . والآن كان هناك
شخص مازال على قيد الحياة بالمكان السفلى هناك ؟ فمن
يكون هو ؟ .. وكان يأمل ألا يكون بورتمان أو زوجته
هو ذلك الشخص . وفكر في مرارة في احتمال أن يكون
بورتمان وحده هو الذى ظل على قيد الحياة وأن الباقي
قد تحطوا وسحقوا وأصبحت مدام بورتمان بجملها

الأناني ليست سوى كتلة من اللحوم ستتخذ المسكون
الأسود تحت لهيب الشمس .

وقال تيوسداي مبتسما :

– الشاي يا بانسون . . الشاي !

وأضاف :

– والآنسة المروضة أرسلت هذه أيضا .

وقدم أربعة أقراص من الأسبرين له .

وتصاعد الغضب في عنف للحظات في كيان
باترسون . فالنساء لديهن عادة سيئة وهي تقديم
المساعدة في اللحظات غير المناسبة . كان رأسه يذق مثل
عجالة ثقيلة . فمز رأسه في حدة وفجأة تلاشي الغضب
من كيانه ثم تناول الأسبرين والشاي . وبعد ذلك استلقى
على الأرض مرة أخرى وراح يفكر في بورتمان والنيران .
وتدريجيا لدى استنقاؤه هنالك ، وبعد أن انتهى من
شرب الشاي ، بدأ يشعر بالانتعاش . . ثم جلس . .
كان يترك ما ينبغي عليه أن يفعله .

كان عليه أن يهبط إلى قاع ذلك الوادي بآية
وسيلة منها كان يحدث من أمور في الجنوب ومنها كان
اليابانيون على مسافة مائة ميل أو خمسين ميلا أو حتى
اثنى عشر ميلا خلفه ، ومنها كانت الأمراض تنتشر على
الطريق بنفس سرعة تدفق الناس أنفسهم ، فأى انشيان
مازال على قيد الحياة هنالك ينبغي اخراجه من هذه
الوعدة .

— الحمام يا سيدي باتسون . الحمام ا عند الجالب
الآخر للخيمة يا سيدي باتسون . هل تريد أى عرق
يا سيدي باتسون ؟

— نعم ، أبحث لي عن مهر . .

— حاضر يا باتسون .

ولم يتردد الولد آفتل . . وجلس باتسون في
الماء البارد وزاح يفر في الزائد وينظر إلى النجوم .
وبعدئذ سمع صوتا ينادى . كان صوت الأنسنة
آلبسون .

— الانسنة مالك تأثرن ليست على ما يرام . وهي
لا تعتقد أنها فقدت أعيا وعندها ارتخاع في درجة
الحرارة . درجة حرارتها ١٠٢ .

فقال :

— لا شيء سوى أنها مضطربة . ولعلك شاهدت
اضطرابها .

— أعرف ذلك . ولكنها تقول أنها كانت تشرب
الماء بالأمس . لمأولئك الناس قد أعطوها ماء عقب
الحادث .

— الناس حريصون على الإبقاء على مياههم نظيفة
لا تطلق عليها .

قالت الأنسة أليسون :

— لا يمكننا أن نتأكد من ذلك . أمل أن تحضر
ونلقى نظرة عليها !

وما الذي يمكنني أن أفعله ؟

- يمكنك أن تقول لها ما ستفعله غدا . فذلك هو ما يفلقها .

- سنقوم بالبحث عن يورتمان والباقيين . فهناك شخص ما مازال حيا بالمنطقة السفلية هناك . ولذلك ينبغي البحث عنهم .

- لا يجب أن تقول لها ذلك . فهي لا ترغب في بقاء أي واحد منهم على قيد الحياة . والفكرة الوحيدة المبسطة على تفكيرها هي الخروج من هذه البلاد .

- هذا أمر طبيعي . هل هذا هو كل ما في الأمر ؟

- لا . ان ما يؤرقها هو أنها تخشى أن تكون أمها مازالت على قيد الحياة وأنتك ستعثر عليها وتحضرها معك .

قليل :

- يا الهي !

ثم انصرفت الأنسة آليسون وخرج هو من الحمام
وجفف نفسه .

وبعد خمس دقائق اتجه الى الكوخ الذي يضم كلا
من كوني والآنسة آليسون . وتوقف للحظات لينظر الى
الدكاكين الصغيرة وعندئذ شاهد تيوسداي فتوقف عن
المسير .

لقد قال الصبي أن هناك ممرا . . وكان ممرا
صمبا الا انه عثر على مرشد : ولد صغير بعين واحدة
فقط . كان مرشدا عجيبا ويعرف الممر معرفة جيدة .

وقال باثرسون :

- سيكون عليه أن ينجت وجوده بشكل رائع . .
وهو كذلك . . سنبدأ نحن الثلاثة مع شروق الشمس !

واستدار وصعد الدرج المؤدى الى الكوخ . وكانت
هناك لمبة تعلو فوق سرير كوني ماك فائيرن . وكانت
الآنسة آليسون تغسل يديها مثلما يفعل الطبيب .

قالت كوني :

- لقد سمعت ما كنتم تقولانه توا .. لكني
تهبطوا الى اسفل هنالك سيستغرق ذلك أياما وأياما .
- لا أظن ذلك .

- اننى لا أشعر بأننى على مايرام . والسبب فى
ذلك هو هذا المكان .

- سنغادر هذا المكان بعد غد .

- منى سنصل الى الهند ؟

وفكر بأنرسون تلحظات وقال :

- لا يعلم هذا سوى الله !

وسارت الأنسة آلبيسون وراعه الى خارج الكوخ ..
كان الجو حارا وهادئا . وكان سواد الليل أكثر سمكا
ونعومة عقب الابتعاد عند اللعبة المتعدية فوق السرير .
وكان فيوسيداي جالسا بجوار التيران وقد راح يفحص
جهاز الراديو تحت ضوء التيران .

ودخل بأنرسون الى الحديقة وعاد حاملا أكوابا

وصب مشروباً من أجل الأنسة أليسون . وتحدثت
الآنسة أليسون فجاء عن الرائد كما لو كانت قد تناولت
هذا الموضوع مراراً وتكراراً في ذهنها .

وقالت :

— سيكون قد قطع الآن مسافة طويلة للغاية .

وقال :

— أمل ذلك .

— ترى ماذا يحدث الآن هناك بالمدينة
وبالمستشفى ؟ ربما يكون اليابانيون قد وصلوا الآن
إلى هناك . ونحن لم تصلنا أية أنباء على الإطلاق

— لا . . لا أعتقد .

ونظرت هي إلى تيوسداي الذي كان يهز المذياع

وقالت :

— ماذا يفعل ؟

— انه المذيع الخاص به .

— اذا كان هذا مذيعا فانه يمكننا سماع الانباء ،
اليس كذلك ؟

— المذيع محطّل . وهو يصنّى فقط لانه يعتقد انه
سليم .

فانقسمت . ورفع الصبي الجالس جوار التيران
المذيع ووضعته على ركبتيه ، وراح ينظر في انجساء
الجنوب . وفي حزن تذكر الشالبيه والغرفة التي كان
يقسم فيها الطعام بطريقة رائعة وهو يرتدى قميص
باترسون . وتذكر الأرض المسورة المليئة بالتراب
وشجرة الجاكاراندا . . وبدا عليهم كأنهم قد أصبحوا
على مسافة بعيدة للغاية .

الفصل الخامس عشر

وقبل الساعة التاسعة مباشرة من صباح اليوم التالي ، شاهدت مدام بتسون أول تسر يحاول الدخول الى السيارة . كان يحاول ادخال رقبته بالقوة في الفتحة التي تركت في النافذة الأمامية . الا انه لم يستطع الوقوف فوق المعدن الناعم فتقهقر الى الرمال ساقطا عليها . ثم جلس هنالك والشرر يتطاير من عينيه متعظرا للقفز والهجوم . ولكنه عندما قفز لم يتمكن من الوقوف على المعدن اللامع بسبب نعومته الشديدة مرة أخرى فسقط مرتطمًا بالأرض في ثقل وعنف . وعلى المتراب انضم اليه تسر آخر . وراحا يهاجمان السيارة مسويًا ولكنهما لم يجدا مكانا يمكن فيه بمخاليهما .

وبعدئذ انضم للنسرين ثلاثة نسور أخرى . وفي
خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق وبعد العديد من المحاولات
الفاشلة بدأت تتعرف على مكان بالسيارة يصلح للوقوف
عليه وطارت نحو النافذة مرة أخرى مع دفع أكتافها من
خلال الفتحة . وبدأت تركز هجومها على الفتحة بحيث
يضم الهجوم ثلاثة نسور : اثنان من أسفل وواحد من
أعلى . وبمجرد أن تمكن النسر الثالث من ادخال رأسه
في النافذة بدأت قدماء في الانزلاق وتدل جسده الهائل
بأكمله لأسفل حيث أصبح معلقا من رقبتة ، إلا أن قدميه
قد عثرتا على مقبض الباب فضغطتا عليه في جنون مما
دفع بالثقل الكامل للجسد لأعلى . وضغط على المقبض
لأسفل وسقط النسر . إلا أن الباب قد فتح بمسافة
بوصة واحدة فراححت النسور تهاجم في شراسة إلى أن
اتحه الباب للوراء .

وكانت مدام يتسوق الجالسة مع مدام بورتسمان
تحت الماوي ترقب ما يحدث من خلال نظارتها المقرونة .
وكانت قد توقعت هذا الأمر . ولم تكن بحاجة لأن تنظر
آنذا . وفوق نهاية الماوي علق بعض الملابس الخاصة

ببورتمان والتي كانت بها يقع من الزيت والتي كانت قد عثرت عليها في السيارة لكي تمنع مدام بورتمان هي الاخرى من رؤية هذا الهجوم الذي تتعرض له السيارة . الا أنها من وقت لآخر كانت تشاهد وصول المزيد من الطيور .

ولم تكن القسوة على الكلام قد عادت الى مدام بورتمان . ولدى تصاعد الشمس على صفحة السماء تزايدت أيضا رائحة العفونة حتى أن المدام بورتمان شعرت بها وأحسست بالغثيان . ولدى تصاعد الغثيان في داخل كيانها انطلق الضوء في داخلها وبدأت العينتان كأنهما قد ماتتا بالفعل .

فانزعجت مدام بتسون . لمعداد الشبهي لم يات بالنتيجة المرجوة وهي بذلك قد اضاعت الكثير من الماء يفرج جوى . والأسوأ من هذا أنها كان لديها الوعي المكافئ الذي جعلها تتذكر أن مدام بورتمان بتلك المعدة المجروحة لا ينبغي عليها أن تشرب كثيرا من السوائل . وأن مدام بورتمان لم تكن قادرة على تمييز

الفارق بين الماء والشاي نظرا لأن مدام بتسون كانت تقدم لها السوائل بكميات ضئيلة للغاية بحيث تملأ لها فيها فقط . ولذلك فأنها قد بددت الماء بدون جدوى . وكانت قد احتست الشاي المتبقى . وكان طعمه مليئا بالحرارة والدخان وذكرها ذلك بالفككات التي كان يقولها بتسون عن طهيها للطعام : « أنت أيتها المرأة لا تستطيعين طهي الماء » مجرد طهي الماء ! « . ربما لم تكن هي ممتازة في انجاز الأشياء التي لها طابع عمل .

لذلك فقد أطفأت النيران لدى غروب الشمس . كانت الساعات الأخيرة الحارة من فترة ما بعد الظهر مليئة بظهور الغاية المحلقة . ولقد تسبب الصبوت المعدني لاحداهما في شعورها بأنها على حافة الجنون . وقد بدأ نفس هذا الصوت في الظهور فجأة مرة أخرى : صوت يقرع مثل المطرقة . فقررت أن تشعل نيرانا أخرى .

وجمعت كومة من الأخشاب يصل ارتفاعها الى

أربعة أو خمسة أقدام ، وشعرت بالإثارة لدى مشاهدة حجمها الكبير في نهاية الأمر . ورجعت لترجع للمحطات بجوار مدام بورتمان ودهشت عندما وجدت أن وجهها قد عادت إليه الحياة مرة أخرى . وبعدئذ أدركت أن الملابس المليئة ببقع الزيت قد طارت من فوق حافة المأوى . كان ذلك أمرا غريبا . كانت ملقاة على مسافة ستة أو سبعة ياردات .

وبعدئذ تكلمت مدام بورتمان معها لأول مرة . قالت في ضحك وذهول أن طائرا قد حبط والتقط الملابس وطار بها لأعلى ثم ألقي بها إلى الأرض من ارتفاع يصل إلى عشرة أقدام أو عشرين قدما في الهواء . أن الصدمة الناجمة عن هذا المشهد قد أعاد لها صوتها وفرحت مدام بتسبون لذلك كثيرا . وتوحيّل لها أن عودة الصوت لمدام بورتمان قد أعاد مسحة من الجمال للوجه الذي كان يبدو لها دائما آية في الجمال .

— أين كنت ؟ ولماذا ذهبت ؟

— ذهبت لأشعل نيرانا .

• لا تذهبي • ابقى معي هنا !

• لن أذهب •

وجلست هدام بتسون على الأرض لكي لا تشاهد
هدام بورتمان السيارة • وظلت جالسة هناك طوال
الفترة المتبقية من الصباح ، وكانت تهوى على وجه هدام
بورتمان وتقبل لها شفيتها بالماء وتحدث في رفق وهدوء
معه • • تحدثت عن الأزهار التي كانت تنمو في حديقةها
وعن نادي السباحة والمحلات القريبة الجميلة وغرفة
النوم الإنجليزية والحياة البهيجة للمدينة التي تلاتت
أنف • وبينما كانت تجلس هناك وتحدث معها قفز
إلى ذهنها منظر هدام بورتمان الجميلة وهي تسبح وتغطس
في حمام السباحة بالنادي • وكان بتسون قد أطلق
عليها ذات مرة اسم « الالهة » • وكان ذلك الاسم يتلهم
معه دائما •

وبين الأشجار بدأ الطائر في الطرق مرة أخرى •
فنهضت هدام بتسون وتجولت هنا وهناك وراحى تنقل

قطعا من الأخشاب في بط تحت الحرارة الشديدة .
وكليا كانت تترك الظلال كانت الشمس تضربها عبر
رقبتها مثل الحديد الساخن . وجمعت كومة من الأخشاب
يصل ارتفاعها الى ستة او سبعة اقدام وعندما شمعت
بالارهاق عادت الى مدام بورتمان . ولكنها لم تستطع
تحمل فكرة ان تلك المرأة الحبيسة الجميلة تعاني من
سكرات الموت هناك . بعد أن تحطم جمالها - تحت وطأة
الحرارة والعفن . فوجدت نفسها تبكي وتصيح وتنهض
واقفة على القور وتحرك بسرعة في ابتعاد .

وجرى العرق والدموع على نظارتها مما جعلها
غير قادرة على الرؤية . وهبط شيء ما وضرب بسرعة
على جانب وجهها . وبعدئذ شاهدت الطائر المحلق لأعلى
والذي كان قد انقض حابطا لها جبتها . فوقفت ترتعد
وترتعش وتبكي تحت وهج الشمس وراحت تمسح
نظارتها . وانقض الطائر لأسفل مرة أخرى وفي لمح
البصر أمسك النظارة بمنقاره وراح يجذب في قوة
مهزوجة بالحروف . وأمسكت هي نظارتها وهي تبكي

فى خوف • وكان الطائر يصدر أصواتا رهيبه فأرسلت
الأصوات يديها • وتمكنت من اصالة الطائر من رقبتها •
وأحسست بجسده دافئا وكريها تحت الريش الزلق • وقد
ادت فكرة فقدان نظارتها الى ملئها فجأة بنوايا الاغتيال
فامسكت بالطائر بكلتى يديها • وضرب الطائر بجناحيه
على وجهها الا انها أحكمت قبضتها على رقبتها وبعد دقيقة
اخرى وقعت على الأرض بينما كان الطائر تحتها •
وبعد ثلث راحات تضغط يديها لأصغر الى ان تمكنت من
دفع رقبة الطائر فى التراب ولم تعد تسمع الأصوات من
حلقه الكبير •

وكان الطائر ممسكا بالنظارة فى منقاره عندما
مات • فانتزعت النظارة من المنقار ووضعتها على عينيها •
وكان الجزء المشروح قد سقط اثناء الصراع مما جعل
الجزء العلوى من الرؤية غير واضح • فزحفت على
ركبتيها وكانت غارقة فى العرق والاهثة تحت الشمس
وصدرت حركة فجائية من الطائر الميت مما جعلها
تنهض واقفة على الفور • ولكن لا يحدث ذلك مرة اخرى

قفزت عليه وراحت تضربه بأفدامها الى أن لم يعد هناك
شيء سوى كتلة من اللون الأسود والأحمر في الثراب .

وعلى الفور أدركت أن جميع الطيور أخذت تستعد
لمهاجمتها ، فقررت اشعال النيران . واستخدمت عين
النظارة المكسورة تحت حرارة الشمس وضجكت عندما
اشتعلت النيران في الخشب . وبعدئذ تذكرت صفيحة
الزيت التي كانت موجودة بالسيارة . فجرت وأحضرتها
وقبل أن تنشط السنة النيران لأعلى بلحظات صببت الزيت
على الأخشاب . فتدفق الدخان على الفور صاعدا من
النيران . وفي غضب انقطعت جثة الطائر الميت وألقت
بها في النيران مع صفيحة الزيت . وطرده الدخان الطيور
الأخرى وقامت الدسور الموجودة بالسيارة من الدخان
أيضا . وشعرت أخيرا أنها قد تمكنت من إلحاق الهزيمة
بالطيور . ثم عادت الى هدام بورتمان .

وأدركت أن تغيرا هائلا قد حدث لها . وخيل اليها
أنها بدأت تعاني من سكرات الموت بالفعل . إذ قد عاد
اللون الرمادي الى وجهها ولم يكن هناك عرق يتصبب

فوق البصرة الجافة . وأطبقت سحابة الدخان على المرائين
لدى امتلائها على الأرض . ولم يكن لديها شيء تقوله
فاكتفت بالخلود إلى الراحة والسكون وقد وضعت وجهها
بجوار وجه مدام بورتمان .

وحتى في تلك اللحظات كانت تضيء بجمال
الموقف كانت تجد متعة في شئ البصرة . واستدار
الموجه نحوها إلا أنه كان خاليا من القوى وكل ما حدث
هو أن الشفتين استراحتا في برود وحب وصمت على
شفتيها .

واستمرت النيران في الاشتعال . ومن وقت لآخر
كان الدخان الزيتي يتصاعد فوق الأشجار فلاردا الطيور
واستمر الاشتعال على ذلك النحو لمدة نصف ساعة
تقريبا عقب وفاة مدام بورتمان . وحتى تلك اللحظة لم
يكن بانرسمون وتيوسداي وولده . النابجا ، الذي كان
يرشدهما قد شاهدهوا تلك النيران من مسافة ميل
تقريبا فوق الوادي .



باترسون و تپوسندای و لقی و التاجا ، شاهسون الدخان

الفصل السادس عشر

وقرر باترسون البقاء بالقرية ليلتين أخريين حتى يتيح الفرصة للمدام بتسون وكوني للحصول على الراحة . وراح يعمل في صيانة وأصلاح سيارته وساعده في ذلك تيوسداي . وبينما كان الصبي يعمل كان أطفال القرية يتجمعون حوله ويرقبونه في إعجاب ، واستمتع هو بإظهار مهارته وأهميته . ولكنه عندما أمسك بالمضخة وانحنى على العجلات توقف عن التظاهر بالمهارة لأن المضخة كانت من الأمور البالغة الدقة والحظيرة . فراح يبعد عنه الوجوه البتية اللون . فذلك لم يكن عملاً يتفرج عليه الأطفال الصغار ويحتششون بأنوفهم المليئة بالتراب .

وفي بعض الأحيان كان يتحدث في غير الكثرات
باللغة الانجليزية مع باترسون مستندا على مقبض
المضخة . فالتعامل مع المضخة اعطاء بعض الأهمية التي
يتمتع بها المهندس . ولكن استخدامه للغة غريبة غير
معروفة قد رفعه الى مرتبة الشخص المذلل . وغير إحدى
العجلات مظهرا أهميته أمام الأطفال الذين ركعوا لأسفل
بجوار السيارة ليشاهدوا بأنفسهم كل ما يحدث .

وقال باترسون :

— يا تيوسداي !

— نعم يا باترسون . نعم يا سيدي !

— بعد أن تنتهي من تركيب العجلة اذهب وأحضر
شاي . . فأننا أشعر بالحر الشديد والعطش .

— حاضر يا باترسون . . حاضر !

ومرة أخرى اعطاء تبادل الكلمات بلغة غير معروفة
أهمية كبيرة في نظر الأطفال . وشعر أنه لم يعد ولدا

صغيراً ، فهو قد أصبح أنثى - بسبب باترسون ومن
خلال باترسون وبسبب الأشياء التي علمتها له
باترسون - رجلاً في الحياة .

كان يشعر بسعادة غامرة ، لأنه قد تخطى مرحلة
غسل الأثقال لوجوههم . وبعد مرور بعض الوقت
وعندما ذهب إلى خيمته اكتشف أن الراديو الخاص به قد
اختفى . وتذكر أنه كان قد أراه لولد « التاجا » .

في الصباح قاد باترسون السيارة في بطء للأمام
فوق التراب ، وكانت أوراق النباتات والأشجار مثقلة
بالغبار . وكان الغبار مستقرًا فوق ظهور عمال المزارع
مثل الطباشير الناعم . وكانوا يسبرون أنثى على جانبي
الممر حتى أنه لم يكن هناك متسع لسيارة واحدة أو
عربة كارو تحاول أن تتخطى أخرى . وفي الأماكن التي
لا تكون فيها الغابة بمثابة سور على كل جانب ، كان
الطريق ينحرف إلى الخارج حول التلال . ولم يكن هناك
سبيل للتخطي . ولم ينتظر أي وجه من الوجوه لأعلى .

كانوا ينظرون للأمام مثلما تنظر وجوه الجنود
المرهقين .

كان هناك آنذ ستة أشخاص بالسيارة . ففي
الخلف كانت الأنسة أليسون تجلس بين نادية وكوني
هالك ناثيرين . وفي الأمام كان الولد يجلس بين باترسون
ومدام بتسون . ومن وقت لآخر كانت مدام بتسون
تنظر إلى الولد ولكن ليس على النحو الذي اعتادت أن
تنظر به إليه . كانت تنظر إليه في ادراك مشوب بالخذر
ولم تسمه ولو مرة واحدة باسم الولد اللطيف .

وكان الصبي خائفا لسببين : السبب الأول هو
أنها قد تحدثت معه في حمق وتهور . والسبب الثاني
هو أن باترسون قد يكتشف ضياع الراديو . وكان
الراديو شبيها غالبا لأن باترسون هو الذي منحه إياه .
وهو يفتصب باترسون لضياع الراديو . ورغم كل شيء
كان يحس أنه لا يصلح كثيرا لأنسان ممتاز مثل
باترسون . وتذكر كيف بدا عظيمها وهاما مع استخدامه

للآلات بجوار السيارة • وتذكر وجوه الأطفال الذين
التفوا حوله ليشاهدوا ما كان يفعله • •

وفي المقعد الخلفي بالسـيارة كانت كوتى ماك
نايرن خائفة أيضا • كانت قد بدأت تشعر بالمرض
يتزايد في داخلها وفي بعض الأحيان عندما كانت السيارة
ترتفع فوق حافة حفرة كبيرة كانت تشعر لشوان قليلة أن
رأسها ليس جزءا من جسدها • إذ كان يبدو وكأنه يطفو
بعيدا فوق أسلاك • ولكنها في خوفها كانت مصممة على
الآن تكون مريضة • لقد تحررت من أمها آنند ، وأصبحت
أخيرا تتجه إلى الهند مع باترسون • ولا أحد سيتدخل
لمنع ذلك • ويجب عليها الآن تسمح للآنسة أليسون
بأن تأخذ درجة حرارتها مرة أخرى •

ولكن القوة والنشاط كانت تتزايد في كيان
الآنسة أليسون وكانت قد ارتدت ملابسها الخاصة بها
كمريضة ، وأخرجت الصندوق الطبي • وظهر تغير
مريب عليها • كما أن طاقة التمرير البيضاء قد أضفت
عليها السلطة والمسؤولية • وعندما كانت تأخذ درجة

الحرارة لم تخبرها على الإطلاق عن مدى الارتفاع في
الحرارة . اذ كانت حريصة على الحفاظ على الأسرار مثل
الأطباء بالمستشفى . واذا اكتشفت أن درجة حرارتها
وصلت إلى ١٠٣ أو ١٠٤ كان باترسون يتوقف عن المسير
وينصب الممسك .

وبينما كانت تجلس مفكرة في هذه الأمور شعرت
بوحشة الحرارة تتزايد في كيانها . وحصلت أفكارها على
المزيد والمزيد من الحركة غير الثابتة للسيارة . وقد ألقى
بها مرات عديدة حيث كانت تصططم بكتف الألسنة
آيسون .

ولم يبد على الممرضة أنها كانت ترقبها في معظم
الأوقات كانت الممرضة قد سئمت من سخافة الفتاة
الانجليزية وبدأت تهتم أكثر بما تشاهده على الطريق .
وكما شاهدت انقطاعا في طابور الناس الطويل ،
كانت تنحني وتخرج رأسها من السيارة لكي تعرف
السبب في هذا الانقطاع .

وفي بعض الأحيان كانت تشاهد مسكرا مقاما

بالفعل ولكن أحيانا أخرى لم يكن السبب في الانقطاع هو اقامة مصيكر . كانت الوجوه الجامدة تنظر نحو الأرض . وفي إحدى المرات شاهدت شخصا هنديا يعاني من سكرات الموت وكانت تفكر ان البسورمين لا يمكنهم ان يتركوه الا بعد خروج الروح نهائيا من الجسد . ولكن لم يكن بمقدورها ان تفعل شيئا سوى مراقبة الموقف واحصاء عدد الموتى . وكان عند الموتى قد وصل الى ٢٣ قبل الظهر .

وأقام باثرسون مخيما في الظهر في المكان الوحيد الذي أمكن ركن السيارة فيه بعيدا عن الطريق . وكان هناك جدول ماء صغير ينحدر من اللال بين مسخود بيضاء محدثا منحني تجري عليه مياه الفيضان غير الرمال المتسعة في موسم الأمطار .

وجدت كوني هناك تأثروا نفسها خارجة من السيارة وسارت اتي حافة ظلال الغابة . ثم جلست على الأرض . وشرعت في قراءة كتاب الا أنها شعرت بالمرض الشديد مما جعلها لا تشكل من رؤية الكلمات على صفحة الكتاب .

كانت تأمل أن يعطيها الكتاب مظهرا يوحى بأنها ليست
مريضة . وإذا جاءت الأنيسة آليسون لثقبى درجة
حرارتها فأنها تنحنى فوق الكتاب وتقول أنها على ما يرام
وفي غاية السعادة . وكان من المقرر أن يواصلوا المسير
بعد ساعة . وبحلول المساء سيكونون قد قطعوا عشرين
أو ثلاثين ميلا في اتجاه الهند . وهي لا تعرف أحدا
بالهند ولذلك سيضطر باترسون إلى القيام بمهمة
رعايتها .

وتحت الحرارة الناصعة شاهدت باترسون
والآنيسة آليسون وهما يساعدان تيوسداى في اشغال
النيران .

وجاءت مدام بتسون والفنائة البورمية من النهر
حاملتين معها جرادل مليئة بالماء . وأوقعت مدام
بتسون بعض الماء على قدميها العاريتين وصحكت لذلك .
ولم يذهب أحد ليجلس مع كوتنى مالك ناثيرن .

وسرعان ما استلقت على الأرض بسبب شعورها
بالمرض الشديد . وفجأة شعرت أنها بحاجة لمجيء أى

شخص إليها . أحسنت أنها على وشك أن تلفظ أنفاسها
الأخيرة في مكانها الذي لا يبعد سوى عشرين أو ثلاثين
ياردة ، الناس الذين ياكلون ويتحدثون ويضحكون .

وسمعت وقع أقدام تقترب منها فجلست معتدلة .
كانت مدام يتسبون هي القادمة وكانت ممسكة في يدها
فتجانا من الشاي .

وقالت :

— اتريبي الشاي . لقد أعد نيوستاي هذا
الشاي . . واعتقد انه واقع في ورطة ويشعر بالنعاسة .
فهو لا ينطق بكلمة واحدة أبدا .

ولم تشعر !الفتاة بالتسلية لسماع هذا الكلام .
وراحت تهز رأسها محاولة النظر للأمام وشربت الشاي .
وجلست مدام يتسبون .

وقالت الفتاة :

— أين الأنسة آليسون ؟

- أنها تبذل كل ما تستطيع مع ولد بورمي - لأن
الولد مريض للغاية - وهذه الفتاة المسكينة لم تحصل
على أي عى من الراحة أو الطعام على الإطلاق -

شربت كوفي الشاي وهي مصممة على ألا تكون
مريضة - فلا شيء سيجعلها مريضة - فإذا فكر الإنسان
فى أنه مريض فإنه سيصبح مريضاً - وتذكرت فجأة
أن لديها بعض الأسبرين فى حقيبتها فتناولت أربعة
أقراص مع الشاي -

ولم تلحظ ذلك مدام بتسون -

ولكنها قالت فى بساطة :

- تلك الفتاة سيجيء عليها الدور وتصاب هى
الأخرى بالمرض ! -

كانت تشعر بالقلق على الأنسة أليسنسون وعلى
تيمونداي وعلى الولد البورمي -

لم نهضت والفة وقالت :

ـ هل تحبين تناول بعض الطعام ؟

ـ ماذا يوجد هنالك ؟ لا . لا اريد اى طعام .

ـ واحتللت بظهورها على الشجرة مرة اخرى
وتركت مدام بتسون تنصرف . وعندما نظرت لأعلى
شاهدت مدام بتسون تتصرف بطريقة عجيبة ومدهشة .
كانت تجرى مهرولة وراء طائر .

وعندما وصلت ظلال الطائر فوق مدام بتسون
حاولت أن تضربه بيديها القبيحتين . وعندما شاهدت
الفتاة النظارة المكسورة والذراعين المروحيتين والقم المفتوح
اعتقدت أن مدام بتسون مجنونة تماما . وكانت صيحات
الغضب الحادة الصادرة عن مدام بتسون قريبة للغاية
من الجنون حتى أن الفتاة انخرطت فى الضحك .

وعندما نظرت الفتاة مرة اخرى أدركت أن مدام
بتسون قد أخذت بتدقية يورتمان من السيارة وجرت
فى المساحة الرملية وأطلقت رصاصتين فى الهواء .
وارتطم الصوت الهائل بالصخور فيما وراء الطريق

فجرت الحيوانات هنا وهناك في جنون كما طارت الطيور في الهواء ونظر البورميون والهنود لأعلى والخرطوا جميعا في الضحك . وظل هذا المنظر ملتصقا بذهن كوني ماك فائرين طوال فترات ما بعد ظهر ذلك اليوم . وقد أدخل عليها هذا المنظر الكثير من الانعاش فكلما تذكرته شعرت بالتحسن في صحتها .

وعندما عسكرنا في تلك الليلة كان الموقف يشبه ذلك الذي كان في وقت الظهر . مرة أخرى كانت هناك رمال ونهر . ونصببت الخيمة الوحيدة عند طرف الغاية . وكان عليها أن تنام في تلك الخيمة مع الأنسة أليسون . فزحفت الى داخلها واستلقيت فيها وانتظرت حضور باترسون أو الأنسة أليسون اليها . وفي الخارج سمعت صوت الحيوانات بين الأشجار وكان هناك بعض الهنود يتغنون في يؤس ببعض الأغنيات على مسافة لا تزيد عن خمسين ياردة .

وبعد مرور بعض الوقت وصل تيرسنداي الى فتحة الخيمة .

وقال :

— العشاء يا آنسة .. ويقول باترسون لك تعالى
لو سمحت .

— شكرا . لا أشعر بالجوع .. قل للمسـتر
باترسون أنني لن أجيء .

وبعد انصراف الولد خلعت ملابسها واستلقت
مرة أخرى وجذبت أغطية الفراش فوقها .
وفجأة وصل باترسون إلى الخيمة .

وقال :

— هل أنت عني ما يرام ؟ .. ألا تريدني تناول
الطعام ؟

— أنا عني ما يرام .

— ينبغي عليك أن تأكل . فأنت لم تأكل في فترة
الظهيرة .

وانحنى لأسفل وقال :

— الأنسة اليسون لديها شيء ما يجعلك تنامي .
فإذا أرسلته لك فهل تتناولين قهرا منه ؟

فقلت :

— نعم !

وعندما نطقت بكلمة « نعم » كانت قدرك أنها
كاذبة .

— أنت متأكدة أنك على ما يرام ؟ .. وأنت
لا تشعرين بالسخونة وبعدئذ تشعرين بالبرودة ؟

— لا . كل ما هنالك أنني لست جائعة .

— ألا تريدن أي شيء ؟

وشاهدته يضع يديه على ركبتيه ويستعد للوقوف

والانصراف . ولم تكن تريد منه أن يذهب .

فقلت :

— ربما أحتاج لقدر من الشاي ..

نهض ياترسون واقفا

ولال :

- سارسل لك الشاي .

واستدار خارجا على الفور .

وبعد أن أحضر لها تيوسداى الشاي والعواء المنوم
بوقت طويل استلقت في مكانها وتعبت لأن الأنسة
آيسون لم تحضر اليها . وأصبح باردا فصبته على
الأرض . وفى خارج الخيمة استمر الغناء الحزين الكئيب
المماثل لأفكارها . وعندما جاءت الأنسة آيسون أخيرا
كانت الساعة قد وصلت الى العاشرة والنصف .

قالت الفتاة :

- هل جئت يا أنسة آيسون ؟

- نعم !

- أين كنت ؟

ولم تكن هناك اجابة . وانما سمعت الفتاة
صوت ماء يصب فى وعاء . وبعدئذ قامت الأنسة

آيسون بتجفيف يديها مستخدمة فوطه .

وقالت الفتاة :

- كنت أتوقع مجيئك قبل الآن لتعلمنى على
صحتى .

- نعم ، كنت أهدف الى ذلك .

- حسنا ، لقد جاء الى المستر باترسون .

- صحيح ؟

- نعم ، وقد قاس لي حرارتي ، وهى ليست
مرتفعة فهى ٩٨ درجة فقط .

- صحيح ؟

- ولم يبد على الأنسة آيسون أنها تعافى
للاكاذيب .

- وأعطاني شيئا ما يساعدنى على النوم ولكنى
لست بحاجة لذلك .

- صحيح ؟

وتبينت الفتاة فجأة إلا تكرر المرحضة تلك الكلمة
الوحيدة بتلك الطريقة المثيرة للضيق . واستطردت :
- وقد مكث هنا فترة طويلة . . وكان وقتنا
لطيفا !

وبدأت الأنسة آليسون تتوجع فجأة بسبب
شعورها بالتهب الشديد .

فكانت الفتاة :

- ماذا في الأمر ؟ هل أصبت بأذى ؟

- لقد كنا نرعى بعض الأطفال الرضع : طفلين !

- كنتم ؟

- أنا ومدام بنسون . والطفل الرضيع الذي
أشرفت أنا عليه قد مات . وهذا يعني أن الحالات قد
وصلت اليوم إلى ٢٤ حالة .

٦ - أربعة وعشرون ماذا ؟

الا ان الانسة اليسون لم تعجب على تساؤلها على الاطلاق . وتخرجت من الخيمة وبدأت في البكاء المتواحش في هتف . وبدأ صوتها وكأنه متصل ومتتابع مع لغناء الهندود الذي توقف . وبدأ ذلك على نحو ما انه لا ينتمى للشرق أو الغرب وانما هو بمثابة استمرار لتلك الأغنية الحزينة التي تنتشر في الظلام الحار .

وفي الخيمة ضغطت كوني مالك تائيرن وجهها في الفراش لكي لا تسمع ذلك البكاء . وبعد مرور بعض الوقت استغرقت في نوم غير عميق ولم تعد تسمع شيئاً . بل ولم تسمع صوت تيوستداي وهو يصيح . يصيح أخيراً في خوف وبؤس بسبب تصرفات ولد الناجا .

الا ان باترسون سمع الصياح بوضوح . وسمع أيضاً صوت ندام بتسون . وتعجب .

الفصل السابع عشر

وقفز الهندي فوق السيارة في وقت الظهر تقريبا
في اليوم لتأني . لقد ظهر خارجا من بين لفحات القبار .
قلبي اثتراب السيارة والتي كانت تنطلق بسرعة
سبعة أميال أو ثمانية أميال في الساعة . وقف في
منتصف الطريق مائة يديه كما لو كان قد ظل منتظرا
مجيئها . وبعدئذ عندما تخطته السيارة قفز على جانبيها
ممسكا بمقبض باب القيادة الخاص بباترسون . وكان
كلامه مزوجا بكلمات أردية وبورمية . وبدأت المساحات
البيضاء في عينيهِ وكأنها قد تحولت الى اللون الأزرق
الناصح بسبب انتشار القبار الأصفر الشديد . وكان

باستطاعة باترسون مشاهدة ضربات قلبه التي تدق
في جسمه النحيل .

وانحنى الأنسة أليسون للأمام
وقسعت :

— ما هذا ؟ .. ماذا يقول ؟ !

— يقول شيئاً ما عن زوجته على ما أظن . وأنا
لا أستطيع فهم كلامه . هل تتكلمين باللغة الأردنية ؟
.. لا .

لقالت مدام بتسون :

— لقد اعتدت أن أتكلّم باللغة الأردنية . أقصد
أننى أعرف بعض الكلمات القليلة .

وكان الهندي ممسكاً بالسيارة بيد واحدة وكان
يلوح بيده الأخرى حيث كان يتكلّم باستمرار في
تعاسة ويؤس .

وقالت المدام بتسون :

— انه يتحدث عن طفل رضيع آخر • وهو اول
طفل تنجبه زوجته •

وأبطأ باترسون من سرعة سيارته بعض الشيء •
وحذر عن الموتور حرارة على شكل موجات زيتية
كثيفة • وعبرت السيارة فوق حفرة فسقط الهندي
عن السيارة وظل يجرى الى جوارها لثوان قليلة
راقعا يديه الى السماء كما لو كان يؤدي الصلاة •
قال باترسون :

— ماذا يريد ؟ اننى لا أستطيع التوقف بالسيارة
هنا •

وقفز الهندي على السيارة مرة أخرى ودفع رأسه
الى داخل النافذة •

قالت كوثى :

— ادفعه بعيدا عن السيارة • هنه هى الوسيلة
الوحيدة :

وقالت الأنسة أليسون :

- سأخرج من السيارة • ولا توقف موتور
السيارة •

ثم فتحت الباب

وقالت لباترسون :

- إذا لم أستطع العودة إليكم بسرعة فهذا معناه
أننى لن أعود إليكم • ولا تنتظرونى ! •

- سوف نتظرك •

- لا • لا داعى للانتظار !

- ستقيم معسكر • وسأرجع وأبحث فى خلال
نصف الساعة •

قالت :

- لا داعى لذلك • مع السلامة ! •

- وقفزت هابطة من السيارة ومعها حشوتها
أحصى بالمعدات والمستلزمات الطبية • وقفز الرجل

الهندي عابثا عن السيارة في نفس اللحظة وانحنى
بأرسمون وأخرج رأسه من النافذة وراح ينظر وراعه .

وقفت الأنسة أليسون وقد غنقتها سحابة الغبار
التي أثارتها السيارة . وبعدئذ بدا الغبار وكأنه يتدفع
لأعلى مباشرة الى عتبان السماء محولا لون الشمس الى
اللون النحاسي المحترق . وفي الضوء ابتسمت
الآنسة أليسون وهي ترفع يدها وابتسم الرجل الهندي
التحليل أيضا .

ذلك هو كني ما حدث . شاهد ذلك الموقف في
ثانية واحدة أو اثنتين قبل أن يدبر رأسه ليرقب الطريق
أمامه . وتسبب منظر الأنسة أليسون التي كانت
تبتسم في ثقة وهدهو شديد في شعوره بهدوء من
البهجة حتى أنه ابتسم ردا على ابتسامتها .

قالت هدام بتسوق :

— ستكون هي على ما يرام .

وقالت :

- سنقيم معسكرًا . وليسوف أرجع . في أي مكان تعلمت اللغة الأردنية ؟

- آوه . كان ذلك منذ فترة طويلة للغاية بالهند .
فلقد ذهبت الى هناك قبل أن أتزوج . كنت أشتغل بالتدريس . هل يخطر على بالك أنني أعرف الفرنسية والألمانية أيضاً ؟ لا أعتقد أنك كنت تتوقع ذلك .

وفي الصمت . راح باترسون يبحث تحت الضوء الذي يعطى الأبصار عن مكان لمعسكر فيه . ومن المقعد الملغى للسيارة .

قالت كوني ماك نايرن :

- كم من الوقت سنستغرقه الآتية أليسون على ما تظن ؟

لقالت مدام بتسون :

- إنني أعتقد مكانًا يصلح للمعسكر . . هناك على اليسار .

- لقد قلت كم من الوقت ستنتظرها على
ما تظن ؟

فقال باترسون :

- سأحاول الدخول بين الصخرتين ، ، فقد
يكون بينهما مكان متسع .

فقالت كوني مالك نائرن :

- لا توجد ظلال هناك . لا يوجد سوى
الصخور .

وعلى يسار باترسون كانت الغاية تنشق عن
فجوة يبلغ طولها ١٥ أو ٢٠ ياردة . و تحت الصخور
الناجمة لم تكن هناك ظلال . ولدى توقفه بالسيارة
شعر بالشمس تضرب بعنف فوق سطح السيارة .
ودخلت الحرارة المتوحشة من النوافذ . فاقف هاتور
السيارة وهو يشعر بالارهاق الشديد ثم خرج من
السيارة .

وقال :

- يمكن لتيوسداي أن يقيم الخيمة لكي تعطى
شيئا من الظلال أما أنا فسنذهب للوراء .

وما أن سمع الصبي اسمه حتى أفاق من صمته
الطويل الذي كان قد سجنه طوال رحلة الصباح .

فقال :

- نعم يا سيدي باتسون ؟

وظهرت على وجهه ابتسامة ضئيلة .

- انصب الخيمة من أجل مدام بتسون والآنسة

كوني .

- حاضر يا باتسون . حاضر يا باتسون !

فكانت مدام بتسون :

- ساجيء معك .

فنظر إليها في حيرة . وبدأ الجانب الأيسر المكسور

من نظارتها كأنه يعطيها ابتسامة من نوع ما .

ـ وهو كذلك . اذا كنت تلصدين ما تقولين .

فقلت :

ـ ائني اعني بالفعل ما أقول . ولكن ينبغي على
أن أحصل على شيء أو شيئين من حقيقتي .

ثم رجعت الى السيارة لتحضر شيئاً ما منها الا أنها
رجعت ومعها الحقيبة في يديها .

ـ سأخذ حقيقتي معي . فهذا أسهل . فهي ربما
نحتاج الى قوطة وستكون هذه القوطة أكثر نظافة .

وقالت كوني مارك ناثيرن :

ـ كم من الوقت متبقين هناك ؟

فقلت هناك يتسون :

ـ أنا ؟ سوف أبقى نفس المدة التي تستغرقها
الآنسة آليسون .

وقال باترسون :

— لا تنتظرونا • ابدأوا في تناول الطعام
واصنعوا بقدر وغير من الراحة !

— في الظلال على ما أظن !

ولم يرد وانما سار وراء هدام يتسبون التي
كانت قد بدأت في النوازي وراء السياره •

وقال :

— ليس هذا الطقس ملائما للجري •

ثم أمسك بذراعها •

فتساجلت :

— اكنث أجري !

— كنت تفعلين شيئا عشايبا للجري تساهما ••

وترك ذراعها وأمسك الحقيبة • واندحس من وزن
الحقيبة الثقيل • يبدو أنها قد أحضرت معها كل
ممتلكاتها •

واسرعت هي الخطى

فنادى عليها :

- انتظري لحظة من فضلك . أريد أن أسألك

سؤالا . أكان تيوسهاري يبكي أثناء الليل ؟

- نعم . ولكنه لم يقل لي السبب في بكائه .

فقال :

- أتوقع أن السبب هو الارهاق الشديد . فلقد

قطعنا مسافات طويلة . حتى أنني لا أعرف عدد الأيام

التي استغرقتها الرحلة حتى الآن .

فقالت :

- تسعة أيام . ولكن الارهاق لم يكن هو

السبب . لقد كان السبب شيئا آخر .

ثم استدارت برأسها ونظرت إليه من خلال

المنظارة المكسورة . وصدم عندما قالت له :

- أعتقد أنك أنت السبب !

- أنا ؟ ! !

— اعتقد ذلك .

— الآنسي قلت له كلاما أدى الى ازعاجه ؟

— لا اعتقد في ذلك . وانمسا هو مجرد كلام

يحتمل أن تقوله له .

وعندما عثرا على الأنسة اليسون بعد مرور حوازي
عشرة دقائق ، كان في تلك اللحظة متخلفا وراعا
بمسافة خمسين أو ستين ياردة . وكان متضايقا للغاية
مما قاله . وبمجرد أن وصلت الى الأنسة اليسون
حتى جرت عائدة اليه وأخبرت حقيبتها .

وجلس على الأرض على مسافة ما من الطريق
بعيدا عن الخبار وتحت ظل بعض الأشجار . كان
قميصه مبتلا بالبقع الناجمة عن العرق وكانت البقع
شبيهة بالظلال الواقعة على صدره . وشاهد هدام
بثسون تأخذ الطفل الرضيع من الرجل الهندي الذي
كان يطبخ شيئا من الطعام في حلة . فسارت جيئة
وذهابا خمس دقائق قبل أن تدرك أن باترسون كان
يرقبها وبعدئذ اقتربت منه .

وقالت :

— انها بنت .. والأب غير معروف

وتكلمت في مرارة ثم سارت بعيدا . وظهرت
مربة كارو على الطريق . وكان واحد من الأبطال الستة
في السبعة الجالسين فوق الأمتعة يصيح في بكاء فصاح
منقيا عليه التحية باللغة البورمية الا أنه لم يتوقف عن
البكاء .

وأحس فجأة ان هذا المنظر يفسر ويشرح له
التعليق المدهش الذي قالته مدام بتسون : عن مسألة
بكاء تيوسيداي ليلا . فالطفل الذي يقطع مسافات
طويلة على الطريق مغلفا بالتراب والغبار أصبح فجأة
من وجهة نظرة رمزاً لمحنة البلاد . ففي خلال يوم واحد
او يومين سيكونوا جميعا قد خرجوا منها . وبالنسبة
للمدام بتسون وكوني وهو نفسه وربما أيضا بالنسبة
للأنسة آلبسون فان ذلك الخروج كان أمرا يهددون اليه
ويريدون تحقيقه . ولكنه أدرك لأول مرة أن الأمر لم
يكن كذلك بالنسبة لنادية والولد . فهما — شأنهما

شان الطفل الباكي فوق الطريق - كأننا يتعرضان
للطرد والايعاد عن بلادهم ووطنهم +

وبينما كان يفكر في ذلك الأمر سمع شخصا ما
أتيا نحوه فرجع بصره + كانت الأنسة أليسون +

فقال متسائلا :

- هل انتهيت من العمل ؟ +

- نعم ! +

- هل سنستأنف السفر سويا ؟ +

- لن أجيء معكم + لقد ظننت أفكر في ذلك
لبعض الوقت +

- حقا ؟ +

- ما كان ينبغي علي مساعدة المستشفى على
الاطلاق + ومنذ أن تركنا الرائد برين لم أعد أشعر أبدا
بنفسي الشاعر .. +

- هذا يعني أنك ستترجمين مباشرة الى

المستشفى ؟ وكان يتكلم في حرص وحذر . وكان يدرك معنى هذا القرار بالنسبة لها ، ولم يرغب في التأثير عليها عن طريق الجدل والمناقشة بطريقة أو بأخرى .

ونظرت هي إلى طابور الناس الحزين الذين يمر بين الحواف الداكنة للغابة تحت الشمس الحارقة مخترقا الغبار ومعلقا به .

- لا . لقد فكرت في أن أقيم في خيمة في نفس المكان الذي كنا فيه الليلة الماضية .

- فهمت !

- فانا باستطاعتي انجاز الكثير من الأعمال هناك . فهناك مياه ممتازة ويمكنني تنظيم الأمور . وسوف أحصل على مزيد من الخبرة والممارسة العملية .

وشعر فجأة أنه قد تأثر برقتها ومراعاتها لشئون الآخرين ، كما شعر بصموده وقوة القرار الذي اتخذته ، وتأثر أيضا بشبابها وحيويتها المتدفقة . إلا أنه صدم

كثيرا من فكرة تركها هناك على طريق لا يمكن ان
يسمى طريقا على الاطلاق وسط تلك الحرارة الرهيبة
و بدون اية حماية ضد ما يمكن ان ينتج من أحداث .
وأحس ان الرحلة بأكملها بدأت تنقطع اربا اربا أمام
عينيه .

فقال :

- باستطاعتك انجاز أعمال عامة وكثيرة في
الهند . فهم يحتاجون للممرضات هناك .

فقالت :

- لا . . اذا كان لي بلد فهذه هي بلدي . ولكنه
امر لطيف منك ان تتجادل معي وتناقش .

فقال بصوت مرتفع :

- انني لا أتجادل .

- لو سمحت لا تصرخ !

- انني لا أصرخ . ولكني أقول فقط انه لا يمكن
لرجل عاقل ان يدعك تفعلين هذا .

ولمسي فجأة بكافة مسئوليات المرحلة . والنس
أصبحت مسئوليات ثقيلة بسبب تصرفات الأربعسة
أشخاص الذين لقوا حتفهم وبسبب هذه التصرفات
الآخيرة التي قامت بها الآنسة آيسون . فلب القليان
لمي جنون في داخل رأسه . وكان قد لام نفسه كثيرا
وفي مرارة بسبب وقوع الحادث للسيارة الآخري ، ولم
يكن يرغب في حدوث وفيات آخري . فوجد نفسه
يصرخ بأعلى صوته مرة آخري الا انه توقف عن الصراخ
بسبب وصول الدام يتسون .

قالت مدام يتسون :

ـ لماذا تصرخ هكذا ؟

فهذا من روعه بجهود كبير . ونظر الى الطفل
الهندي الرضيع الذي كانت تحمله بين ذراعيها

وقال :

ـ الآنسة آيسون تريد أن نتركنا وترجع ا

ـ أنا أدرك ذلك .

ـ ولكنى لا أوافق . فأنت قد شاهدت ما حدث
هندما أقنعتى بورتيمان وزوجته بأن أدعهم ينفصلون
عنا .

ـ نعم ولكن الأمر يختلف فى هذه الحالة . اليس
كذلك ؟

ـ إن هذه الحالة أكثر سوءا من الحالة السابقة .

فأنت علام يتمنون :

ـ لا أعتقد ذلك .

ـ وهو كذلك . لن أتجادل فى هذا الشأن .
فأنا مجرد زميل عادى لكم . وأنا لن أتركها وحدها .
وذلك هو كل ما فى الأمر !

ـ أيتبين أن تبغى وحدها ؟ أنتى أود البقاء
معها .

وأدى تعليق هدام يتمنون إلى إزاحة مشاعر الغضب
عن باترسون للحظات . وأدرك أن هدام يتمنون كانت

تبتسم في وجهه وكان يريد أن يقول لها انها مجنونة
وأن هذا يتمشى مع ما قاله الناس عنها دائما الا انه لم
يتكلم .

وقالت الأنسة اليسون :

— وكما نرى فان الأمر ليس في غاية الجنون كما
تخيلت .

وقالت مدام بتسون :

— لا . . . يوجد اثنان منا الآن .

والتزم الجميع بالصمت للحظات . وبدأت كل
حرارة الظهر كأنها تندلع مرة أخرى في كل مكان بل
وتحت الأشجار هناك . الا أن باترسون لم يهتم بالحرارة
ولم يصرخ مرة أخرى . .

قالت مدام بتسون :

— بالطبع كان ينبغي على ان القول اننى سابقى

إذا والقت الأنسة أليسون على أن تأخذنى معها . كان
يتبخر على أن أسأله عن رأيها .

فابتسمت الأنسة أليسون بدون أن تتكلم فأدرك
هو أنه لم يكن هناك داع لأن تجيب . وقال فى مزيج
من الهنوء :

— وماذا عن حاجياتك ؟ .

وقالت مدام بتسون :

— حاجياتى وأشياءى موجودة عنى .

وقالت الأنسة أليسون :

— ليس لى سوى أشياء قليلة فى الصندوق
الخاص بى . ولن أرجع الى المعسكر .

فقال باترسون أنه سيحضر لها أشياءها بنفسه
أو يرسل الولد بها .

وقالت مدام بتسون :

— سأرجع الى المعسكر . فهو ليس بعيدا للغاية .

ويمكنني أن أحمل الصندوق وأودع ذلك الولد اللطيف
وأقول له مع السلامة .

- أنه سيرجع معك .

وقالت الأنسة أليسون :

- أعتقد أن الأنسة ماري ناثيرن ستكون على خير
مايرام . . فانت قد أخذت درجة حرارتها الليلة
الماضية . أليس كذلك ؟ ولم تكن حرارتها مرتفعة في
ذلك الوقت .

- ماذا تقولين 19 .

- أنت قمت بقياس درجة حرارتها . وهي قالت
أنك مكثت معها وأخذت درجة حرارتها .
- لا هذا لم يحدث .

- أعتقد أنها قالت ذلك . وهي تحدثت معي
كثيرا . لست أدري بالضبط ربما هي لم تقل ذلك .
فانا كنت في غاية الارهاق والتعب والقلق وربما لم
أكن أصفي اليها جيدا .

وبعد دقيقتين بدأ في السير على الطريق مع المدام
بتسون . وضربت الشمس على وجهه لدى استدارته
لالتقاء نظرة أخيرة على الأنسة آيسون . إذ أنه شاهدها
بعد لحظات . كانت ممسكة بالطفل الرضيع بأحدى
يديها وكانت تلوح بيدها الأخرى مودعة إياه . .

وبينما كان تيوسداي عائدا الى باترسون تحت
حرارة شمس ما بعد الظهر عثب تسليم صندوق السفر
للأنسة آيسون ، وجد نفسه يواجه مرة أخرى المشكلة
التي أثارها ذلك التصرف الغريب الذي قام به الرائد .
وتذكر الرائد بينما كان يدفع دراجته هابطا التل ،
ثم راح يفكر في مدام بتسون والمرضة اللواتي
جانب الطريق ومعهما حاجياتهما كما لو كانتا تنتظران
مجيء قطار لينقلهما بعيدا . ولم يكن هناك شيء في
تجربته الشخصية يمكن أن يفسر له السبب في
رجوعهما . وتذكر أنه عندما انطلق بورتمان وزوجته
ومدام ماك ناثون للأمام في السيارة الأخرى فانهم قد

فعلوا ذلك في غضب مليء باليؤس . وبدأ على السيدتين
في هذه المرة أنهما حادثتان وسعيدتان . وكان قد توقع
أن تكون مدام بتسون مليئة بالعطف والحنان نحوه أو
أن تبدأ في الصراخ واستجوابه ، إلا أن كل ما حدث
هو أن الأنسة آليسون قد طلبت منه أن يخرج
لسانه .

ولم يفهم ما تريد في بادئ الأمر ولذلك أخرجت
له لسانها لكي تراه أن يفعل مثلها .

ففهم ما تريد ، وأخرج لسانه بكامل طوله .
فقالَت الأنسة آليسون :

— عظيم . هذا رائع !

ثم أمسكت معصم يده ونظرت إلى ساعتها ثم
ابتسمت .

وقالت :

— في صحة جيدة تبارك !

ثم اخرجت الأنسة اليسون من صندوقها زجاجة
وبعض الأشياء الأخرى وقالت :

- اعطى هذه الأشياء للمستتر باقرسون ، وقال
له ان هذه هي كل ما أستطيع الاستغناء عنها .
ثم ناولته حقيبة لكن يضع فيها الأشياء حتى
يسهل عليه حملها .

فاخذ الحقيبة وإضاعت الابتسامة وجهه . وخطر
على ذهنه للحظات أن يسألها بعض الأسئلة البسيطة :
ما هو السبب في ذهابهما بمفردهما والى أين متفحصيان
.. ولماذا سترجعان بعد قطع كل هذه المسافات
وانقضاء كل هذا الوقت ؟ .. وبدأ الطفل الرضيع
الذى كانت تمسك به مدام يتسوق في إصدار أصوات
فكسرت غصنا به أوراق من شجرة وراحت تهوى به
في بطنه على وجه الطفل الأحمر . ونسى الولد الأسئلة
التي دارت في ذهنه .

ثم قالت الأنسة اليسون في بساطة :
- اعتقد ان ذلك هو كل ما في الأمر .

فوقف للحظات مترددا . لم يتخيل أنهما
ستذهبان بالفعل . وكان وجهه زائعا بعدم اليقين حتى
أنهما انفجرتا ضاحكتين .

— ألا تفهم ؟ هذا وداع بيتنا .

وكل ما استطاع أن يقدمه كإجابة على ذلك هو
ابتسامة ضعيفة . وظل واقفا لتوان أخرى ثم صار
مبتعدا . وسمعتهما مرة ثانية وهما تضحكان في مزح
وبهجة إلا أنه لم يلتفت برأسه ورايه .

وكان لا يزال يفكر في ذلك الأمر عندما عاد إلى
سيارة باترسون .

وبحلول منتصف فترة ما بعد الظهر بدأت كوني
مأثر تأثيرا تترك أن سخونة الهواء المتدفق من نوافذ
السيارة لم يكن هو السبب الذي جعل رأسها تبرد
وكأنها تلف وتدور . . . كما أن السبب لم يكن هو
مبكك باترسون الذي كان يقود السيارة وهو مخمور
بعض الشيء . لقد كان السبب هو هجوم المرض عليها .

مرة أخرى . فعندما كانت تنظر الى التلال التي أصبحت
آنثى على مسافة خمسة أو ستة أميال فقط كانت تبدو
لها وكأنها تنزلق على أطراف الأرض . وأمسكت بفروع
المسند الخاص بالمقعد الذي تجلس فيه بالسيارة .
كانت ترغب في استمالة في عدم السقوط في أخايد
ووديان المرض المتكررة ومن وقت الآخر كانت تحاول أن
تهزم المرض عن طريق إغلاق عينيها . إلا أن إغلاق
عينيها لم يكن ينجم عنه سوى الشعور بأنها تسقط في
خضم من الظلام اللاتهالى .

ومع مرور الوقت في فترة ما بعد الظهر بدأت
تزايد مخاوفها من التعرض للمرض الشديد . والشئ
الوحيد الذي كان يريحها هو أنها كانت بمفردها
بالمقعد الخلفي للسيارة . حيث كان باستطاعتها كتمان
المرض الحارق في معدتها ومحاولة هزيمته بدون أن
يراهم أحد . كان جسدها بأكمله يشتعل وبدأ الحرق
وكانه ينصب الى الداخل في جسدها عبر بشرتها ولكن
لم يكن بمقدور الأنسة اليسون أن تأخذ لها حراقتها
آنثى .

وصدمت لأن ياترسمون قد سمح للآنسة اليسون
واللعمام بتسمون بالتخلف عن الرحلة . وكان قد بدا
في احتساب الحور بطريقة فجائية تماما عندما عاد
وأرسل الصبي معه خفية الآنسة اليسون . وكان
الارهاق الشديد والقلق ظاهرا على وجهه . ولم يرغب
في تناول الطعام الذي أعده الصبي . . وكانت قد
عثرت عليه وشاهدته وهو جالس يحتسى الحمر
بكميات رهيبة . ثم قال لها إن المرأتين لن تعودا .
وعندئذ أحست هي بالبهجة على نحو فجائي في يادى
الأمر ثم أحست بالصدمة بعد ذلك .

— ولكنك لن تسمح لهما بالبقاء بمفردهما ؟

وقال :

— أنهما تريدان البقاء .

— ولكنه لأمر شنيع أن نتركهما هنالك !

وقال :

— هما اللتان قررتا تركنا • وهما تعرفان ماذا
نفعلان •

— ولكنني لم أقل لهما مع السلامة • وكنت أريد
أن أودعهما •• ألا يمكن أن أرجع إليهما لأودعهما ؟ •

لقال وهو يواصل الشراب مرة أخرى :

— لا تقاطعيني أثناء تناول طعامي •

— لست أدري كيف تجلس هناك ولا تهتم
بشئونها •

— اغني أحبيهما •• ومع ذلك ••

— انت لا يمكنك أن تحب أحدا •• فانت ليس
لديك مشاعر ! •

— أنا مجرد شخص عادي •

ولم تحب الطريقة التي ينظر بها إليها من فوق
مشروبه • وضايقها ذلك طوال الفترات المتبقية من فترة
ما بعد الظهر • وفي السبادة راحت تنظر إليه لكي

تشعر بالراحة ، ولكن دون جدوى وبدأت تشعر تدريجياً
بأنها خائفة منه على نحو يفوق خوفها من المرض . وفجأة
بدأت تتمنى أن تصاب بالفتيان .

ولكنها لم تتمكن من ذلك . فرفضت إحدى يديها
أن فيها لكي تدفع بإصبع إلى داخل حلقها . ولدى
قيامها بهذا العمل شاهدت باترسون وهو يرقبها في
مرآة القيادة بالسيارة .

فقالت :

- لو سمحت ، التي أشعر بالتدهور السريع .

وقال باترسون :

- نرى ما هي الأكاذيب التي تفكرين فيها

الآن ؟ !

فأغلقت عينيها وألقت بظهرها للخلف . وكانت
تشعر بالضعف الشديد مما جعلها لا تقوى على الإجابة
على سؤاله . وبدأت كلبة ، أكاذيب ، كأنها تشبثها في
مكانها مثل امرأة ساخنة . وتذكرت والدتها وتذكرت

كيف أنها سبق لها أن كذبت في أمور تتعلق
بباترسون . حيث كانت قد كتبت لأعها رسالة طويلة
عن لقائها مع باترسون . . المستر باترسون العجيب
الذي سافر بالباخرة قبلها والذي أخضعها معه لتناول
طعام العشاء . والذي قرر الذهاب إلى وانجور لقايلتها
هناك . وكانت قد وضعت كل الملوم على باترسون .
وتدريجيا أصبحت فكرة حب باترسون لها بمثابة
حقيقة ماثلة في ذهنها . إلا أن كل شيء قد انتهى
ومع ذلك لم ينته الأمر تماما .

وفي لحظة أخرى أدركت أن باترسون قد أصبح
مخمورا . . ليس فقط بسبب أن المرأتين قد تركتا
الرحلة ، ولكن أيضا بسبب أنه قد عرف أخيرا كل
شيء عنها وفهمها تماما . وأصبحت هذه الصدمة جزءا
من المرض المريع الذي دهمها . وكانت تدرك أنه سواء
أكان باترسون يصدقها أو لا يصدقها فإنها كانت في
حالة من المرض الشديد بالفعل . وتدهورت حالة سمعتها
كثيرا ، وراحت تضرب هنا وهناك ببسديها محاولة

الامسك بحافة الخمد الامامى بالسبارة لكى لا تقع من فوق مقعدها .

وبعد لحظة أخرى كانت الحرارة الشديدة قد تغلبت عليها .

الفصل الثامن عشر

وثبتت السليم الأكثر برودة الذي جاء مع الظلام
ومر يطفى الأرض المساء في وعاء . وراح يفكر في كل
الأحداث التي وقعت . وفكر أيضا في باترسون الذي
أصبح معجورا والذي كان لا يزال ليتناول الحبوب أثناء
جلوسه في الحديقة ومراقبته للألسنة عاكس لالين . وكان
يطفى الأرض في حرص وعناية لأنه كان يريد للأرض أن
يكون ممتازا .

وشاهد أخته قادمة من العربة حاملة معها الفاكهة
لكن تقطعها لباترسون . فتنادى عليها لكي لا تقطع
الفاكهة لأنه كان يريد أن يعطىها بنفسه . ويضع

عليها السبكر بالطريقة التي تروى لباترسون . الا أنها
لم ترد عليه .

وانتظر وأطباق الأرض في يده عند فتحة الخيمة
للمحطات قصيرة قبل أن ينطق باسم باترسون .

وهمس :

— يا سيدي باترسون . . العشاء .

ووقف في فتحة الخيمة وقد وضع قدميها في داخل
الخيمة وظلت قدمه الأخرى في خارج الخيمة مسسكا
بالأطباق . وكان باترسون جالسا على صندوق في نهاية
الخيمة بالداخل . . وكانت الفتاة مستلقية ومستيقظة
ولم يتمكن من مشاهدة العرق الذي كان يسيل فوق
وجهها تحت ضوء اللبنة الخافت .

ووضع باترسون الزجاجاة والكاس على الأرض ثم
أخذ أطباق الأرض من الصبي . . واجتمع الصبي في
إتجاه اذ كان يخشى من أن يقوم باترسون بضربه



وشاهد اخته قادمة وهي تعمل بعض الفاكهة

وطرحه أرضاً . . إلا أنه أدرك في ابتهاج آليذ أنه لم يجد هناك أى علف في داخل كيان باترسون . وكان قد ظل منتظراً حلول مثل هذه اللحظات المناسبة لكي يقول لباترسون إن المذيع قد ضاع ولقد .

قال الولد :

- أتحب بابايا ؟
- نعم وأحضر لي كمية كبيرة من السكر .
- وللآنسة كوني أيضاً .
- الآنسة كوني تعالني من المرض الشديد .
- ثم انحنى فوق الفتاة وقال لها :
- تبوسدي لديه بابايا !

فكلمت الفتاة :

- لا أرغب في الطعام . إذا تناولت الطعام سأشعر بالغثيان والرغبة في التقيؤ مرة أخرى . وكل

ما هنالك أنسى أعاني من هذا العطش الرهيب .

فالتفت باترسون نحو الصبي وقال :

— أحضر فاكهة البابايا . فسوف تعجب بها
الأنسة كوني . . . وسوف تتحسسن إذا أكلت من
البابايا .

قال الولد :

— نعم . تلك الفاكهة رائعة . سأحضرها في
خلال خمس دقائق ! .

وخرج من الخيمة مبتسما ثم جلس بجوار الثيران
وراح يجهز ويعد الفاكهة . ونظر إلى أخته إلا أنها لم
تكن تتناول الأرز . وهو لم يأكل الأرز الخاص به أيضا
واعتقده أن اللحظة المناسبة قد جاءت لكي يخبر
باترسون بضيق الراديو . وفتح فاكهة البابايا على
شكل زوارق لكي يدخل السرور على باترسون وغرز
شوكة وملقحة في جانبي كل زورق لتمطي شكل
المجاديف . ثم حمل الفاكهة إلى الخيمة .

وشعر بالارتياح عندما أدرك أن باترسون مازال
يحتسى الخمر ، وأنظير الوجه الشبيه مخمور في
الضحك عندما شاهد الزوارق ، ولاحظ الصبي أن
طبقي الأرض قد اكلا ، وأن الأنسبة ماك ناثيرن كانت
مستلقية وقد جعلت وجهها في اتجاه الحائط كما لو
كانت مستقرنة في النوم .

وانتهى باترسون عليها وقال :

- كوني .. انظري الى هذا ا .

ولم تتحرك في بادئ الأمر الا أنها أدارت وجهها
بعد ذلك نحو الضوء .

- انظري الى ما أحضره تيوسداي من أجلك ..

نحن سنذهب الى الهند الآن بالزوارق ، وسنصل الى
هناك بسرعة ا .

وبدا عليها أنها تنظر الى الزورق الا أن جفني
عينيها كأنها متدليين لأسفل . وبدأت يدها تتحركان
فوق أغطية ومفارش السرير .

لقال باترسون :

- هل تشاهد بن الزورق يا كوني

وعندما انحنى على سريرها فقد توازنه فجأة وكاد
يسقط الزورق من يده فقال :

- أمواج البحر عالية !

وحاولت البنت فتح شفتيها مبتسمة وهي تسمع
ما يدور حولها ولا تشاهده .

وأدرك الصبي أن الأنسة كوني مريضة للغاية
وشاهد في وجه باترسون لدى التفاته نحو ضوء المصباح
انعكاسا لما كان يدور في ذهنه . وزالت فجأة التخاريف
التاجية عن تناول الخمر . كان الوجه غاية في الإرهاق
بسبب الحرارة الكاملة والثراب والضوء المتوحش والهم
والقلق المصاحب للرحلة . وشاهد إحدى يدي
باترسون وهي تترك الزورق وتجبر نفسها لأسفل على
وجهه في حركة عريضة واحدة من الأصابع المفتوحة .
كانت العينان لامعتين ومليئتين بروح المودة والصداقة

الا أن شيئا ما أثار مخاوف الصبي . . وبعد لحظات
مخلدو باترسون اللبية حاملا القلوب في اهتزاز . فتبعه
الصبي حاملا الزورق الآخر .

ودعش الصبي عندما شاهد باترسون يدفع
الفاكية إلى داخل قبة بسرعة كبيرة . وظل يأكل في
سراحة إلى أن قضى على الزورق تماما ثم أخذ الزورق
الآخر وأكله .

وقال باترسون :

ـ والآن احضر اللبية الأخرى ! .

ودعش الصبي كثيرا من هذا المطلب حتى أنه لم
يتحرك من مكانه .

فقال باترسون :

ـ اذهب . واحضر اللبية !

واپتبع الصبي عندما شاهد قاذية قادمة من عند
النيران .

وقال باترسون :

- ينبغي أن نحضر الأنسة آليسون الممرضة .
وتساعد النضيب في داخله مرة أخرى . . انها
تعانى من المرض الشديد حقا . يالها من فتاة مسكينة .
وبدا يتحدث مع نادية عن خطورة المرض الذى تعرض
له الفتاة وأنه ينبغي عليه الرجوع لاضطراب الأنسة
آليسون . ولم يذهب الولد لاضطراب اللبنة لانه لم
يفهم على وجه القلة نوع اللبنة التى يريد بها وفى أى
شئ سيستخدمها . وكاد باترسون يقع ساقطاً على
الأرض وشعر الصبي بالبهجة . واعتقد أن باترسون
سيقع على الأرض وبعدئذ تقوم نادية والولد يوضح
الأغطية فوقه وينام هو بعد ذلك . . وفى الصباح تسير
الأمر على مايرام مرة أخرى .

الا ان باترسون لم يقع على الأرض . وانتظر
الصبي وقوم باترسون . الا ان شيئاً من هذا القبيل لم
يحدث باستثناء أن باترسون قد اتجه مباشرة نحو
السيارة .

وفي لحظة فهم الولد ما الذي يريد أن يفعله
باترسون ودب الخوف في أوصاله . إذ أدرك أن
باترسون المخمور يريد أن يفود سيارته على ذلك الطريق
الضيق ليلا . فنادى على الفتاة وهو يجري متخطيا أيها
نحو السيارة . وما أن وصل إلى السيارة حتى نظر
وراءه وأدرك أن الفتاة قد ابتعدت قليلا . ومرة أخرى
كان على وشك السقوط على الأرض وهو يمسح وجهه
بيديه .

ورفع الصبي مقدمة السيارة وراح يتحسس في
الموتور . وكان يعمل باللمس في الظلام ثم عثر على
ما كان يريد العثور عليه . واستخرج شيئا ما من
الموتور ، وأخفاه في قميصه . وبذلك أصبح من المتعذر
أن يدور الموتور . وفي نفس اللحظة

صاح باترسون قـ

— أين ذلك الولد ؟

ولم يعد الصبي يهتم بالصياح . وسمع باترسون
يناديه باسمه مرة أخرى . وفي هذه المرة رد عليه :

« أنا هنا يا باترسون » .. وفتح باب السيارة في نفس الوقت .

ودخل باترسون في ترونج الى السيارة وجلس وأثار ضوء السيارة وضغط على آلة تشغيل الحركة بقدمه ودخلت الفتاة في السيارة وجلست بجوارده وشاهده الولد وهو يدير آلة تشغيل الحركة في جنون .. وظل منتظرا حين توقف صوت الموتور . وسقط باترسون للأمام على عجلة القيادة ثم انزلت بعيدا عنها فأعسكت به الفتاة في قوة لدى انزلاقه .

وعاد الولد الى الخيران ووضع حلة الأرز الصغيرة على اللبيب . فالتشباك السابقة التي آتت ثورقه انتهت وحلت محلها أمور أخرى أكثر أهمية : كيف سياكل وبنام قليلا ويراقب الأنيسة مالك نائيرن .. وبعدئذ وقبل شروق الشمس بساعة أو نحو ذلك ينطلق للبحث عن الأنيسة آليسون . لقد جاء الدور عليه أخيرا لأن يرجع .

كان الأرز لذيذ الطعم للغاية .

وعندما ارتفعت الشمس في السماء ، كان الولد قد سار مسافة خمسة أو ستة أميال راجعا على الطريق .
وبعد مرور بعض الوقت وعند مكان يهبط فيه جدول الماء الصغير فوق مسطح بيضاء تغطي مجموعة من قبيلة الناجا تتكون من ثلاث نساء وأربعة رجال ، حيث كانوا جالسين بجوار نيران ، وكانت هناك امرأة أخرى تحضر ماء من جدول الماء . فنظروا اليه بعيون متوحشة ففسر بالثوب فجاءه . وكانوا يرقبونه في صمت فنظر على وجهه أن شعب الناجا المتوحشين الذين ينظرون رؤوس الأعداء ويحتفظون بها كانوا ينتظرون هودته .

وبعدئذ وعندما وصل الى المكان الذي تقابل فيه مع الأنسة اليسون وأعطته حقيبة فرشاة الأسنان لم يكن هناك سوى الحلقة الداكنة السوداء بالمكان الذي أحمل فيه الهنود نيرانهم ، ووقف للحظات مترددا في غير يقين . وبعدئذ تذكر مسكر الليل قبل أن يفلز الهندي على جانب السيارة . لقد كان ذلك المسكر على مسافة عدة أميال الى الورا .

وسار لمدة ساعة أخرى فوصل الى المكان الذي
كان الهنود يقيمون فيه في بؤس اثناء الليل ، وكانت
الرمال بجوار النهر تبدو على ما كانت عليه بالضبط
بما عليها من جماهير الهنود والبربريين وحيواناتهم
وعربات الكارو مثلما كان عليه الحال عندما خرج منها
باترسون في اليوم السابق .

وراح يتجول هنا وهناك باحثا عن انعكاس نظارة
مدام بتسون الا انه لم تكن هناك وجوه بيضاء ، وعندما
بدأ يتحدث مع الناس عن سيدة انجليزيرة تفهم على
وجهها نظارة قيل له ان الانسة آيسون ومدام بتسون
قد رجعا لمسافات طويلة الى الورا .

ووقف في وسط مكان المعسكر وقد احس لهجة
بشيء من الازهاق عقب المشي الطويل بالاضافة الى
شعوره بالعطش الشديد وعدم الثقة في نفسه . وكان
يشعر بالتوتر بسبب تذكيره لباترسون ، وكان يشعر
بالتوتر لأنه أصبح عليه ان يقطع مسافات أخرى
للوراء .

فتسائل :

— منذ متى اتجهنا الى الورااء ؟

لحقيل له أنهما نحر كتما في نفس ذلك الصباح قبل شروق الشمس . فراح يحصى المسافات ووصل في تقديراته أنه قد يلحق بالترائين في المساء . وبعد ذلك تنقضى ليلة أخرى ويوم آخر قبل ان يتمكن من الرجوع الى باترسون . وتذكر باترسون الذي أصبح مخمورا وعاجزا بعض الشيء . فاستدار وبدأ في العودة .

وقطع حوالي نصف ساعة في مشوار العودة بدون أن يجري ثم تذكر فجأة معسكر شعب الناجا المجاوز للنهر . فقد شاهد النحات المتصاعد من نيرانهم بينما كان على مسافة ٥٠٠ أو ٦٠٠ ياردة من المعسكر لتوقف عن السير للحفظيات وراح يرتب . ثم قرر الدوران بعيدا عن المعسكر متخترقا الأشجار مع اتباع مجرى النهر .

وسار لمسافة قصيرة في جدول الماء لكي يستجمع

ببرودة الماء . وصار يسرعة متواريا بين المشيب الطويل
الى ان جعله مجرى الماء المنحني يسير في مزيد من
البطء . وعند المنحني أراح يديه على صخرة تشع
بالصخرة تحرق يديه . وبعدئذ انتهت قطعة من
الصخر تحت يديه ومقطعت في الماء بصوت مرتفع .
وفي نفس اللحظة شاهد خمسة أفراد من شعب الناجا
بجوار النيران .

ونظروا جميعا في حدة في اتجاه الصوت . ووقف
واحد منهم كان مرتديا قبعة من القش وبدأ في السير .
وبدا وكأنه يسير في اتجاه الصبي مباشرة . وكان
يسير بسرعة ، وشعر الولد بحرارة الصخر تحرق في
يديه وتحتهما كان التراب ينساب الى الماء . وانهارت
قطعة أخرى من الصخر فأمسكها بكلتي يديه في دعر
شديد لكي لا تسقط . وسمع وقع أقدام رجل الناجا
على الرمال على مسافة عشرة ياردات أو اثنتي عشرة
ياردة . فانحني لأسفل مستعدا للجري .

وبعدئذ طلبت إحدى النساء شيئا ما من النيران .

فتسببت صيحاتها في توقف الرجل . وقف ساكنا
مصبيا ثم عاد أدراجه .

وبعد أن قطع الولد مسافة مع النهر اكتشف
انه كان لا يزال ممسكا بقطعة الصخر التي كسرت .
كان يشعر بالعطش الشديد فرقد في الماء غاسلا العرق
والغبار والخوف من وجهه . وبعد أن استراح استأنف
السير على طول حافة الجدول التالي .

وأخيرا فصله تل صخري عن حافة المياه . كان
ذلك التل يرتفع لمسافة عشرة أقدام أو خمسة عشر قدما
فوق أعشاب النهر . قرحف الى قمة التل ثم استلقى
متبسطا على وجهه ناظرا فوق حافة الصخرة والى الماء .
وهناك أسفله شاهد ولدا من شعب الناجا يصطاد
سمكا . كان يعرف تماما وجه ذلك الولد . كان الوجه
ذا عين واحدة .

وظل تيوسداي واقفا لمدة خمسين ثانية أخرى
قبل الذهاب فوق حافة الصخرة . وكان انقضاؤه شبه
بالسقوط ، وفي اللحظة التالية ضرب الجسد البني اللون

في حنف وثمنر قطعة الصخر الموجودة بينه تقطع
بشرة الوجه . وراح يضرب الوجه مرة أخرى لدى
انزلاقها سويًا تحت الماء وراح يضرب للمرة الثالثة تحت
الماء . وظهرت السماء على صفحة الماء وتشابك ولد الناجا
في شبكة الصيد الخاصة به لمدة ثانية أو اثنتين . وأخذ
يصيح مثل القط بسبب الآلام الرهيبة . وبعدئذ انزلق
كلاهما تحت الماء للمرة الثانية وتشابكا مع شبكة
الصيد .

وتحت الماء ضرب تيوسداي ولد الناجا مرات
ومرات عديدة . إلا أن ضربته الأخيرة لم ترتطم بشيء
وإثناء محاولته ضرب الولد مرة أخرى شعر بالخافة
المديية لعصا ولد الناجا الطويلة تدخل في جانبه مثل
اللدغة .

وأحسن بنفسه يصرخ في عني غاضبا وهو يكافح
مرتفعا بهامته لأعلى في الشمس ولاهتا وباحتسا عن
الهواء . وتجمع كل شقائه ويؤسه وكرهيته وخوفه من
باترسون وتماسته بسبب فقدان الراديو في ضربة

أخرى . وأصابته الطرية ولد الناجا لدى ظهوره على
السطح . فقد طارت الصخرة من يده وضربت ولد
الناجا فوق أذنه مباشرة فصرخ مرة أخرى وراح يكافح
في وحشية في داخل الشبكة . وفجأة أخذ يسبح
محررا نفسه . سبح الى الشاطئ ولاذ بالفرار .

وتساق تيوسداي خارجا من الماء وجاذبا نفسه
لأعلى مستخدما الصخور . وظل واقفا للحظات وهو يكبح
طلبه للهواء . وأيقظت الكحة الألم في جانبه . ثم تذكر
الخمسة أشخاص التابعين لشعب الناجا المنتظرين هذه
النجري المائي فوجد خوفه وبدأ في الجري مبلا ولانفا
الدماء على الشاطئ . وسقط على الأرض متخبطا في
آلامه واستلقى تحت الشمس عاجزا ومندهشا ومشاهدا
الدماء التي تنساب منه .

وبعض بعد لحظات قليلة واستأنف الجري . وظل
على هذا النحو لبعض الوقت : مهرولا وخائفا ومراقبا

للسماء التازفة منه ، وبعد حوالي نصف ساعة وجد
نفسه على الطريق ، وبحلول الوقت كان قد طوى أطراف
قميصه ليجعل منها ضمادة رقيقة أوقفت نزيف السماء
عندما ضغطها على جانيه ، ومن وقت لآخر كان يسقط
على الأرض وينهض واقفا ويجري مواصلا المسير .

الفصل التاسع عشر

ولقي الولد بعض الوقت من بعد ظهر اليوم التالي في الدق على ابرة لكي يجعلها تتخذ شكل الخطاف . وبعد ثة عشر على خيط يبلغ طوله ياردة او ياردين في السيارة ، ثم ذهب الى جدول الماء . وسقط على الأرض مرتين . كان الألم شديدا حتى أنه كان يجد صعوبة في السير . الا أنه كان مبتهجا من فكرة اصطصاد السمك . فهو سيصطاد السمك من أجل تقسيمه للآنسة ماك فائرن . اذ كانت مريضة للغاية ومسننة في الحية ولم تستطع تناول الاطعمة التي حملها اليها . فهذا التبديد للطعام قد جعل الصبي يشعر بالاستياء . واحس أيضا بالاستياء عندما فكر في باترسون الذي

كان لا يزال مخمورا بعض الشيء وعندهما فكر في الرحلة
للهند التي تعرضت للعراقيل .

واصطاد سمكة وانطلق يجري مهرولا عائدا الى
المعسكر حاملا السمكة تحت قميصه . ولم يسقط على
الأرض سوى مرة واحدة .

وبينما كان يجلس ويقوم بطهي السمكة جلست
أخته عند الجانب الآخر من النيران . وتساءلت عما اذا
كان يطهو السمكة من أجل بانرسون .

- انني اطهو هذه السمكة من أجل الأنسة كوني .

- انها لن ترغب في أكلها .

- اني تأكلها ؟

- لن تأكلها !

- انها سمكة ممتازة . واذا أكلتها ستتماثل

للشباب .

- انها لن تأكلها . الهما تعاني من سكرات

الموت !

ورفع الولد هيبته عن السمكة ونظر مليا في وجه
أخته + لم تكن ترقبه وانما كانت تحديق النظر في
النيران +

وقال الولد :

- هل قال بائرسون أنها سموت ؟ +

- لا + ولكنه يدرك ذلك +

- هل هي سموت لأنني لم أتمكن من احضار
الأنسة أليسون ؟

- هي سموت على أية حال + خلال فترة قصيرة
للغاية +

وأدرك أن الأمر لا يحتمل كثيرا +

ثم قالت نادية :

- لا تقدم السمكة لها +

- سأقدمها لها .. وليسوف تتحسنى عندما
تأكلها +

ونتهى واقفا وهو فخور بالسبكة . ونظر الى اخته
في احتقار أخوي لا على أنها امرأة وإنما على أنها مجرد
أخت له تتصرف بضياع الأخوات .

فقال :

- الآن خذ الشبكة وقدميها لها . ولكن احرص
على عدم الوقوع على الأرض !

فقال :

- الوقوع على الأرض ؟ .. ومن هو الذي يقع
على الأرض ؟

- لقد ظلمت تقع على الأرض طوال اليوم !

وتخبي أن يعرف بائرسون حقيقة ما حدث .

فقال لها :

- لقد التوت قنسي فوق صخرة أثناء عودتي .

- إذا كانت قدامك قد التوت فما السبب في
وجود الدماء على قميصك ؟

- لقد جرحت يدي ..

- أي اليدين جرحت ؟

- كيف يمكن لي أن أريك اليد المجروحة بينما
أنا أحمل السمكة ؟

فأقلت :

- لا تحمل السمكة اليها .. هل هو يعرف
ما حدث ليديك وجاليتك ؟

- لا ..

- لماذا لم تقل له ؟

- لأنها جروح بسيطة للغاية .

وانتظر للمحطات حيث كان يراقبها وهي جالسة
بجوار الثيران . وكان يسرني أنه من الصواب أن يحمل
السمكة ليضعها للأيسة ماك تائيرن حتى لو كانت تعاني
بالفعل من سكرات الموت ثم سار إلى الحيمة .

كانت اللبنة مشتعلة في الحمية ووقف خارج
الحيمة في هدوء . ممسكا بالسلسلة أمامه فوق طبق
مسطح . ومن خلال فتحة الحيمة كان بمقدوره مشاهدة
الآنسة ماك ناثير وهي مستلقية على السرير وكان
باترسون جالسا فوق صندوق بجوارها .

وقال الصبي :

- يا سيدي باترسون . . سبكة معلقة ا .

- احضرها . ادخل :

وعندها انحنى ليدخل الى الحيمة استطاع أن يشم
الزبد الساخن فوق السبكة لدى اقتراب الطبق من
وجهه . وعلى السرير كانت الآنسة ماك ناثير ترقد
ممتدة . فاقبض عليها باترسون .

وقال :

- انه تيوسداي - ولد أحضر بعض السمك من

أجلك !

وحاولت أن تنظر إلى الولد إذ أنها كانت تنظر بعيدا إلى ما وراءه . وحاولت أن تتكلم . وشاهده الصبي شغبتها تنفرجان قليلا . وبعدئذ صدرت كلمة إلا أنه لم يعرف تلك الكلمة . فظل منتظرا إلا أن كل ما شاهده هو المسمان الجاف البني الذي كان يحاول تكوين كلمة .

وطلب منه باترسون أن يجلس فقرر الولد أن يجلس على الأرض . وعندما حرك جسمه لأسفل شعر بالام حادة تنتشر في جانبيه . فوجد نفسه يجلس فجأة على السرير .

ويبدو أن هذا قد أيقظ الفتاة وشاهدها وهي تمسك بحواف الحيق . إلا أن يديها كانتا ترتعشان وهزنا الشوكة فوق الطبق . وبدأ عليها كأنها تحاول أن تتكلم معه وسمع منها كلمة شبيهة بكلمة « أنت » إلا أنه لم يكن واثقا تماما من ذلك .

فقال باترسون :

— انها تريد منك أن تأكل أنت السمكة .

فقال الولد :

- . أنها من أجل الأنسة كوني أ .
- أنها لا تريدنا .

فقال الولد :

- كلها أنت يا باترسون ! .
- لا . كلها أنت ! .

فقال الولد :

- وهو كذلك !

والنظر الولد قليلا . وظل باترسون منعنيا عليها
لحوالي نصف دقيقة مجففا وجهها بفوطة . وابتهم الولد
عندما قام باترسون بتخفيض نور المصباح لأنه عندئذ
لم يكن باستطاعته مشاهدة وجه الفتاة . وطلب منه
باترسون مرة أخرى إن يأكل السمكة .

فالتقط السمكة إلا أنه لم يرغب في تناول

الطعام لأن ألامه جعلته يشعر بالفتيان ، ويبسوا أن الفتاة كانت ترقبه إلا أن عينيها لم تزد عن كونهما فتحتين خيقتين في الوجه . وأراد الولد أن ينسلم خارجا من الخيمة إلا أن نظرتها إليه أوقفته هناك بينما كان يدلع قطعة صغيرة من السمكة إلى فمه . .

وبينما كان يأكل السمكة العذيمة الطعم في بطنه كان يدرك أن الخيمة لا يوجد بها أي صوت سوى صوت الشوكة عندما كان يضعها في الطبق في كل مرة . وكان صوت ارتطام الشوكة بالطبق له تأثير غريب عليه حتى أنه كان يخشى من لمس الطبق بالشوكة فاضطر لأن يأكل الجزء المتبقى من السمكة بيديه . وعندما انتهى من الطعام وانزل يديه أدرك أن الفتاة أمسكت بيديه ووقعت الطبق والشوكة على الأرض وبعدئذ هبط الصمت المطبق مرة أخرى ضاغطا عليه . وكان يريد أن يصاب بالفتيان . إذ بدت السمكة كأنها قد انصرفت بحلقه ولم تهبط إلى داخل جوفه .

وطوال الوقت بدت عينا الفتاة كأنهما منبتتان

عليه في رفق وحنان . وبدأ عندها كأنهما فتفتخان
قليلا ذات مرة ، فشعر أنها تريد أن تراه على نحو أكثر
وضوحا . فحرك رأسه للأمام بعض الشيء تحت ضوء
المصباح هابطا برأسه لأسفل قليلا . وشعر بالحرق
بسبب غثيافته وبسبب شباب وجهها . ولم يدر ماذا
يفعل . فجذبته في بطنه إلى أن أصبح على مسافة ستة
بوصات تقريبا عن وجهها فتفجرت آلام جراحه من
جانبه . وأصبحت صدمة الموت الحرق فوقها جزءا
من آلامه الخاصة به مما جعل آلامه أمرا بسيطا . وبعدئذ
تركبت يديه .

وخرج من الحجرة حاملا معه الطبيب والشوكة .

وكانت أخته مازالت جالسة بجوار النيران .

وقال :

ـ ماتت الأنيسة كوني !

وبعد موت الأنيسة كوني مالك تأثير شعير

بأنرسون بعودة جزء من الحياة في داخل كيانه . وطلب
من الولد أن يأخذ حماما ويغسل فيه بالماء . إلا أنه
كان مبتهجا لأنه هو والفتاة كانا في حالة جيدة على
ما يبدو . ولمرات عديدة سمع في أسفل الوادي صوت
موتور سيارة ولكنه لم يفهم الموقف . كل ما كان
يريد أن يفتله أولا وقبل كل شيء هو أن يتمكن ثلاثتهم
من الهرب أحياء من بورما . فإذا لم يتمكنوا من ذلك
فإن الرحلة لا يكون لها أي معنى .

وفي الصباح كان الطريق يتجه لأعلى لمسافة ما في
اتحاد بعيدا عن مجرى الماء ومتجهها إلى مناطق يسورها
الزبد من التلال . ومن فوق قمة تل كانت البلاد تبدو
مثل قمم من التلال المتناوبة وكانت الجبال التي تفصلها
عن الهند ليست سوى كتلة عديمة الشكل متراصة على
مسافة بعيدة .

وبعدئذ اتجه الطريق الخلف بالتراب لأسفل نحو
النهر مرة أخرى . وبعد حوالي نصف ساعة كانت
العربات الكارو واقفة فوق المنحدرات . وكانت هناك

مجموعات من الهنود والبورمين يجالسة على الطريق .
وبدا في القيادة ببطء للأمام لمسافة نصف ميل أخرى
وبعد ذلك اكتشف أن الطريق أصبح مسدودا تماما
فماضطر للوقوف بسيارته . وعندما أخرج رأسه من
نافذة السيارة ونسائل عن الأسباب ، حياه الناس
بأذرعهم المنيعة الى شيء معين . . . كانت الاجابة واحدة
دائما :

ـ الكوبرى ا .

فغادر سيارته وسار للأمام لمسافة مائة ياردة
تقريبا . وعند الدوران الثانى على الطريق شاهد
الكوبرى . كان من نوع تلك الكبارى المبنية من الخشب
من أجل موسم الجفاف . وهو لم يشيد مطلقا من أجل
أن يسير عليه طوفان متواصل من الناس والعربات
الكارر التى تسببت آثثا في عدم أربعة أو خمسة
ياردات من المساحة الوسطى به حتى أنه تعلق فوق
الوادي مثل العمود القصرى المكسور للسكة .

وظل ياترسون واقفا للمحطات يرقب الناس الذين

يقومون بإصلاح الجزء المكسور من منتصف الكوبرى .
وكان هناك شخص ما مألوف بعض الشيء له وموجود
بين الناس حيث كان يتجادل معهم بصوت مرتفع .
وكانت هناك مجموعات من الناس منتظرة عند نهاية
الكوبرى . وشاهد هناك سيارة أيضا بالإضافة الى
بعض القوارب القليلة الموجودة فوق الميناء العميقة
بالأماكن السفلية .

فسار متجها الى نهاية الكوبرى . لقد كان كوبريا
جيدا بالنسبة لحركة المروز في الظروف العادية . الا أن
الأوقات آنذا أصبحت غير عادية فحدث الحناء في
منتصفه الى مسافة تصل الى ٣٠ قدما فوق سطح الماء
. . ومن تحته شاهد حطام عربة كارو كانت قد سارت
فوق الكوبرى .

وواصل سيره على الكوبرى . كان وقع أقدامه
يهز الكوبرى . فتنظر الناس المتجادلون في المنتصف
الى أعلى . لقد كان سيره هذا مثل رجل يحاول أن يقلب
قاربا على نحو خطير .

وعلى الفور بدأ شخص ما يزار نحوه عبر الكوبري:

- ماذا تفعل أيها الشيطان ؟ أتريد للكوبرى أن
ينهار بأكمله ؟ ماذا تفعل ؟

وسار الهيكل الفاضل المتعصب عرقا للرجل
الهولندي على طول الكوبري في عنف مما جعل الكوبري
يهتز بقوة .

ثم قال :

- أوه ، انه أنت ، بالله عليك لا تفعل ذلك .

وتساءل باترسون :

- منذ متى يجري هذا الإصلاح ؟

- منذ يومين رهيبين .

- عادة يكون من السهل إصلاح مثل هذه

الانهيارات - لماذا حدث بالضبط من أخطاء ؟

- لقد قاموا بإصلاح الكوبري بالفعل وبعده ذلك

سارت تلك العربة الكارو قوفه قبل أن يصبح الكوبرى
جاهزا تماما . ففرق شخصان . والآن قد يستغرق
الإصلاح أسبوعا ! .

واتخذ باترسون خطوة للأمام على الكوبرى .
وكان الرجل الهولندي مثل كرة من العرق قرنفلية
اللون مهتاجة .

فصرخ :

— بالله عليك لا تهز الكوبرى .

فقال باترسون :

— وهو كذلك ! .

وسار في بطنه نحو وسط الكوبرى . وكان
يتوقف من وقت لآخر لينحنى وينظر لأسفل . وبدا له
أن الكسر الرئيسى كان أمرا بسيطا إلا أن سقوط عربة
الكارو الثقيلة قد كسرت دعامة رئيسية وبرز قضيب
الدعامة الضخم لأعلى مثل عظمة مكسورة .

وتحدث الى الرجال العاملين في اصلاح الكوبرى . كانوا غير سعداء وكانوا يخشون من قيام الرجل الهولندى بالعبور فجأة بسيارته قبل ان ينتهى الاصلاح تماما مثلما فعلت العربى الكارو من قبل . كان معظمهم من قبيلة « قارين » ، و اضافوا معلومات تفصيلية عن قصة العربى الكارو التى سقطت من فوق الكوبرى : « عشرة اشخاص قتلوا » . عشرة او اثنا عشر . . وثلاثة او اربعة حيوانات . قتل كثيرون . المجموع الكلى ثلاثون !

وأدركوا انه يفهم فتحمروا حوله . وأشاروا الى الدعامة المكسورة عبر الجانب . ونظر هو لأسفل . وشاهد تحت الكوبرى رمنا (١) طافيا عبر الجملول المائى وحاملا اناس مرتدين ملابس زاهية الألوان ، وكانت كرة الشمس المتوحشة منعكسة لأعلى فى عينيه . وبدأ على الكوبرى كله أنه قد اهتز فجأة وبدأت المياه

(١) الرمث أو الطوف : خشب يند بطيه الى بعض ويركب فى البحر كما يستخدم فى نقل البضائع فوق الماء .

بأضوائها الخضراء والأرجوانية والبيضاء كأنها واد يلمع
على مسافة ألف قدم نحو الأعماق . وراحت الشمس
توجه ضرباتها إليه من أعلى ومن أسفل . فحاول
الامساك بحواف الكوبرى ولكنسه لم ينجح في ذلك
وبعد ذلك تمكن من جذب نفسه لأعلى بمجهود كبير .

وشعر بالغثيان الشديد . فسار راجعا عبر
الكوبرى . وكان الرجل الهولندي منتظرا .

— حسنا ؟ ما رأيك ؟ كم من الوقت سيستغرق
الإصلاح ؟ وهل هناك فرصة للعبور على الكوبرى
اليوم ؟

— لا ، علي ما اعتقد .

— انهم اناس أغبياء .

واستأنف باترسون سيره راجعا من فوق الكوبرى ،
كان يسير فوق القراب المتعاصيك الحار فتشعر أن
القراب هو الآخر يمكن أن ينهار تحت قدميه مما
سيؤدي إلى وقوعه على الأرض . وأمامه كان هناك

منظر معتم ومكفهر لشراب وأشجار وهياكل من الناس
جالسة وعربات كازو وسماه . . . ألا أن هذا انظر ظهر
فجأة صاليا ورائقا أمام عينيه .

وقال :

« كل هؤلاء الناس يريدون العيسور . . . ينبغي
تنظيمهم على نحو ما » .

فصرخ الرجل الهولندي :

— نعم ولكن كيف يتم ذلك ؟ . . . انظر اليهم .
انهم ينتظرون فقط ويعيشون على الأمل + ولا يفصلون
شيئا . . .

وشعر باترسون أن رأسه أصبحت صاقية مرة
أخرى فنظر وراءه .

وقال :

— لن يتعمل الكوبري سيارة واحدة على الإطلاق .
— لا ؟ أنه سيتعمل سيارتي ! أين الناس القابعون



واوشك على السقوط من فوق الكوبرى

ذلك ؟ إلا تريد لهم أن يعبروا الكوبرى ؟

— اتهم إلى الوراء هنالك .

— حسنا . ينبغي علينا أن نفعل شيئا . هنالك

قصص من كل نوع عن مجيء الجنود .

فوقف باترسون وراح يرقب الكوبرى .

وقال :

— ان هؤلاء الناس يحبون القصص . وحياتهم

كلها عبارة عن قصة . ويمكن لنا أن نصنع « أطواقا »

لكي تحمل عربات الكارو الخفيفة . فذلك من شأنه أن

يخفف الضغط عن الطريق ويجعله خاليا .

— نعم . ولكن ماذا عن السيارات ؟

— يمكن اصلاح الكوبرى . ربما في خلال يومين .

— يومين كاملين !

وشاهد باترسون بعض النساء وهن يقعن بصنع

أطواق من الخشب .

فقال :

— يمكن أن يتم ذلك في وقت أقل إذا تم تقديم الطعام لهم ! .

— نطمعن ؟ . . ولماذا ينبغي علينا أن نطمعن ؟

وبدا باترسون يسير على الممر . كان يكره سماع قصص الرجل الهولندي . وكان يكره الاثارة والقلق الباديين عليه . وكان الشعور بالفتيان قد تغلغل عنه فأدرك أن ذلك الشعور بالانغماء الذي صبط عليه كان ناجما عن الجوع . فهو لم يكن قد تناول طعام الافطار . بل انه لم يكن قادرا على تناول كوب الشاي الذي اهداه له تيوستداي عقب انتهاء مراسم دفن الأنسة مالك ناثيرن . كان الشعور بالفتيان قد ابتدا حينئذ . ولكنه بدا الآن يشعر بالجوع وأراد أن يتناول بعضا من الطعام والشراب .

فقال في هدوء :

— انني ذاهب لتناول الطعام والنوم لمدة ساعة . .

ولسوف أتمكن من التفكير في وضوح عقب تشارل بعض
الشئ .

فصاح الرجل الهولندي :

— الشئ ! الشئ !

وأصبح عاجزا عن الكلام بسبب دهشته وغضبه
من تصرفات باتريسون . وعندما سارا سويًا نحو
السيارة وشاهد نادي والصبي واقفين بجوار السيارة
في قلق ونقاد صبر أدرك أن شيئًا ما غير ملائم قد
حدث . وتذكر سيارة أخرى وأناسا عديدين . ودعش
من الصراف الجميع .

— أين الناس التابعون لك ؟ ألم يكن لديكم
سيارة أخرى ؟

— لقد رجعوا .

— رجعوا ؟ رجعوا ؟ أتقصد ما تقول ؟ ربما ألت
تمرح .

وصدرت عنه أصوات عديدة تدل على عدم
التصديق وهو يمسح شعر صدره في نفس الوقت
بمعدّل أبيض نظيف للغاية . ثم بدأ يتكلم بمزيد من
البطء وقال كلاماً يشبه : « صحتك لا تبسّو على
ما يرام » .

وكان نيوستاي قد بدأ في اشتعال نيران « وشعر
ياترسون فجأة بالارهاق بسبب شعور الغشيان الذي
داعمه في الصباح وبسبب التوتر البادي على الرجل
الهولندي » .

فقال وهو يجلس على الأرض فوق التراب :

— تناول بعض الشاي معنا .

فقال الرجل الهولندي :

— لا ، شكرًا لك . . . سارجع إلى هناك لأرى ماذا
يمكنني أن أفعل . . . اعتني بشئون نفسك . . . فمظرك
يدل على أنك مريض ! .

— ألا على ما يرام .

ولم يرغب باترسون في التكلم . كان الهداع
يدب في رأسه مرة أخرى وكانت معدنه مليئة بالغشيان .
فاستلقى راقدا على وجهه . وبعد مرور بعض الوقت
استدار ليجد الفتاة تنظر لأسفل نحوه ممسكة بيدها
كوب شاي . لم يكن بمقدوره الرؤية في وضوح .
فجلسي ومسح بكتفي يديه على وجهه إلا أن الفتاة على
ما يبدو تحركت بعيدا وهي تأخذ الشاي بعيدا بعيدا
من يديه .

وأخيرا أصبح ممسكا بكوب الشاي فاهسسا
الكوب بكتفي يديه في احكام شديد . لم يعد باستطاعته
مشاهدة الكوبري أو سبارة الرجل الهولندي . . لم
يشاهد سوى وجه الفتاة التي كانت ترقبه . ثم
سمعها تنكلم ، إلا أن الكلمات اليوريمية التي كان
بحاجة لاستخدامها لكي يجيب عليها . كانت تقف الى
ما وراء مقدرته الذهنية . وعندما أصبح رأسه أكثر
صفاء ووضوحا عشر على شيء ما في قمة . لقد كانت
الفتاة تقيس درجة حرارته . ولم يقاوم ذلك . وأدرك

في نفس الوقت أنها كانت تنظر الى الساعة المربوطة
على معصم يده .

وبعد مرور خمس دقائق أصبح ذهنه خاليا من
الغشيان فسار في ترويع عائدا الى الكوبرى . وبدأت
الشمس كأنها تضربه لمي وحشية أثناء سيره كما تحول
النهر الى اللون الرمادي ، مع وجود غابة رمادية على
كلا جانبيه ، وأجسام رمادية على شاطئيه ، وأخشاب
رمادية تكون الكوبرى . فراح يهز رأسه في عنف
الى أن عادت الألوان الطبيعية مرة أخرى .

وعاد الرجل الهولندي من الكوبرى مليئا بتقصي
سمعتها من أفراد من قبيلة ، قارين ، . . وكان وجهه
يبدو لياترسون مثل حقيبة رمادية من المطاط . وقال
أن الجنود يقتربون من الوادي . . وأنهم جنود يابانيون .
وأنه كان هناك قتال شرس في عائدالاي وموجوك
وبهامو . وأن المعركة قد فشلت . . وأن كل شيء
سينتهي في خلال يومين . ومن وجهة نظر الرجل

الهولندي نجد أن كن شىء قد حدث أو كان يحدث أو
سوف سيحدث فى خلال يومين .

وعصرخ :

- اليابانيون سوف يصلون الى هنا فوق هذا
الكوبرى فى خلال يومين . . . وعندئذ أين سنكون
نحن ؟ 14 .

فقال باترسون :

- ربما عند هذا الكوبرى . . . وشعر بالتحسن
والهدوء مرة أخرى وأصبح بمقلوبه مشاهدة الألوان
مرة ثانية . وكان الرجل الهولندي يحتقن الوجه
للغاية وكان الحرق يتدفق هابطا على وجهه .

قال باترسون :

- توقف عن الشعور بالخوف . . . نحن بحاجة
الى فريقين من الرجال . فريق لإصلاح الكوبرى وآخر
لصنع الأطواف . . .

ثم سار فوق الكوبرى ، فاهتز الكوبرى فى عنف
مرة أخرى ، إلا أنه آنئذ لم يكن يشعر بالغثيان الشديد
ولم يهتم بالغثيان . وسار الرجل الهولندى وراه فى
غضب .

ورقف باترسون فى منتصف الكوبرى وتحدث الى
أفراد قبيلة ، فارين ، عارضا تقديم الأرز لهم فى مقابل
انجائهم للأعمال . وقال لهم أنه سيقدم لهم أول كميات
من الأرز فى الساعة الخامسة . وكان يعتقد أنه
بإمكانهم العمل ليلا تحت ضوء النيران والمصابيح ،
وفى خلال عشرة دقائق وقفت مجموعتان من الناس فى
صفوف وكانت كل مجموعة تضم عشرين أو ثلاثين
فردا . فأمر المجموعة الأصغر عددا بقطع الأشجار
الرفيعة . وراح يشرح لهم حجم الأطواف والأوزان التى
يمكن أن تحملها . . وأخذ المجموعة الثانية الى الأشجار
الكبيرة الضخمة وكان يأمل أن تتمكن تلك المجموعة من
قطع بعض الأشجار فى ذلك اليوم وجرها قبل حلول
الليل ونقلها الى الموقع المطلوب مع شروق الشمس .

وفعل كل هذا وبدأ في اختيار الأشجار التي ستقطع
بالقرب من حافة الماء بدون أن يدرك أن الفتاة
وتيوستاي كانا مراقبين له طوال الوقت .

وفي الساعة الخامسة توقف عن إصدار توجيهاته
لقاطعي الأخشاب ، ونادى على المجموعة الأولى من
الرجال لكي يأخذوا الأرض فساروا في طابور عند
السيارة بينما كان هو يكيل الأرض في وعاء . وظهر
الرجل الهولندي وكان في شدة القلق والتوتر وكان
يحمل معه قصة جديدة تفيد أن اليابانيين قد شوهدوا
بالفصل على مسافة خمسة كيلومترات إلى الوراء على
الطريق .

ثم قال :

— ويمكنك أن تسمع خطوات مجيئهم !

فقال باترسون :

— لا اسمع شيئاً . . تناول بعض القاي !

— هؤلاء الناس سيلوفون بالفرار . وعندئذ لن

يستكمل اصلاح الكوبرى • فمادّا سنقفل عندئذ ؟ •

قال باترسون :

- نمشى ! •

فقال الرجل الهولندى :

- استمع الآن • أسمع السمع ألا تسمع

الأصوات ؟ •

فوقف باترسون بجوار السيارة مصغيا في
ضعف • ثم شعر فجأة بالارهاق الشديد • وشعر
بنفسه ينزلق لأسفل بجوار السيارة الى أن أصبح
جالسا • كان لا يزال يحمل وعاء الأرض في يديه • لقد
عاد اليه الغثيان • • الغثيان الرمادى • وشعر كأنه
سيسقط للأمام على وجهه • وفي مجهود كبير أحضر
مزيدا من الأرض في الوعاء • وجعل حبوب الأرض تتدفق
من الوعاء في جريان ممسكا بالوعاء في وحشية وجاعلا
الأرض يتساب في بطنه لكن يبدو الأمر وكأنه يتصرف
بطريقة عادية • وشعر بالبرد الشديد يدب في أوصاله

وبدت حياته كلها وكأنها تندلق بسرعة خارجة من بشرته
مثل تدلق بطيء من الأرض .

وبعدئذ قال الرجل الهولندي :

- هنالك ! يمكنك سماع الصوت الآن !

وفي جو رمادي اللون نظر باترسون الى حبات
الأرز الأخيرة محاولا منع نفسه من الوقوع على وجهه ثم
راح يصفى بعدئذ .

ومن مسافة ما بالوادي استطاع سماع الصوت
الذي كان قد سمعه في الليلة السابقة : صوت
موتورات . الا ان الصوت آنئذ كان أشد ثقلا من
صوت السيارات العادية .

قال الرجل الهولندي :

- أسمع الصوت ؟ هل تسمع الصوت ؟ من
يكونوا هؤلاء القادمين ؟

ولم يعرف باترسون . وحاول في غباء ان يقول

شيئا ما معقولا + وجهه لكي لا يسقط على الأرض .
ربما كان الرجل الهولندي على حق وربما كان اليابانيون
قادمين . وحاول أن يحصى عدد الأيام التي قضاها على
الطريق ولكنه فشل في ذلك . . لم يعرف ما إذا كان
قد قضى يوما واحدا أو عشرين يوما . وتحدث الرجل
الهولندي عن نقل السيارات فوق الأطلواف . . وبعدئذ
صعدت المجموعة الثانية من قبيلة القسارين إلى
التل .

وساروا أمامه في طابور واعتقد أنه قد وزع
الأرز . وشاهد أقمشة خضراء وأرجوانية وحمراء وسمع
أصواتا وأجاب على الأصوات وتناقش ذات مرة مع
الرجل الهولندي عن اليابانيين .

وقال أنهم كانوا سـيـتـسـمـعـون طلقات مدافع
وبنادق لو كان اليابانيون هم القادمون . وقال أنه
لا توجد هناك أصوات طائرات في الجو . ومن الغريب
أن الرجل الهولندي لم يبد عليه الغضب من هذه
المجادلات والمناقشات .

وبعد مرور بعض الوقت اكتشف أن الوعاء لم يعد موجودا في يديه . . وأدرك فجأة أن الوعاء لم يكن هنالك على الإطلاق . وعندما رفع بصره لأعلى شاهد تادية والولد وهما يقفان الأرض الآخر رجل من قبيلة القارين . . ولم يعد الرجل الهولندي موجودا هناك . وكالمع لكني يتمكن من الوقوف على قدميه .

وبعد ذلك وصل إلى تحت الكوبري . كان الظلام قد أخذ في التزايد . . وكان يقبل شيئا مع عمود خشبي يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين أو خمسة وثلاثين قدما . وكان بعض أطفال من قبيلة القارين يصيحون ويضحكون في جدول الماء وفوقه . محاولين تثبيت العمود في الدعامة المكسورة للكوبري . وبعدئذ وبطريقة لم يفهمها وبدون أن يدرك أنه قد تساق الكوبري وجد نفسه فوق الدعامة المكسورة . كان مستلقيا ووجهه متجه لأسفل حيث كان ينظر إلى جدول الماء . وجاء العمود لأعلى .

ومع كلتي يديه لكني يمسك بالعمود عندما دفعه

رجال « القارين » لأعلى ، وبدأ العمود فجأة طويلا على
نحو غير هادي وممتدا لمسافات بعيدة الى جدول المياه
أسفله . وشعر بالفثيان الرهيب والعجز الشديد .
وانقلبت المياه الموجودة أسفله فوق العالم بأسره .
وخطر على ذهنه الرائد ثم الأنسة اليسسون ومدام
بتسون ثم مدام بورتشان بهدوئها وجمالها ثم بتسون
والفتاة التي عانت من سكرات الموت والأخرون ، وشعر
على نحو ما رهيب أنه قد خذلهم وخيب آمالهم فيه .

وفارجع العمود لأعلى وصاح رجال القارين . .

وبعد لحظات أدرك أنه يتهدى ساقطا . وكان
مصمما في نفس الوقت على عدم السقوط . فأمسكت
يداه بالكوبرى . ففكرة السقوط كانت مماثلة تماما
لفكرة الثلاثي في طيات الموت . . وكان مصمما على
البقاء على قيد الحياة وعدم الرضوخ لنسوت ، وبعبدا في
أسفل الوادي وعبر الغابات المظلمة ، ترامي الى سممه
مرة أخرى صوت عربات ثقيلة . ربما كان هؤلاء هم
اليابانيين . وبلت تلك الأصوات وكأنها تعطيه صورة

عن كافة أنواع الارهاق والمخاوف والحرارة والمشاهد
الرهيبه لرحلة الهروب الطويلة . فعمل طول الطريق
كانت جثث الموتى ملقاة هنا وهناك والنسور فوقها :
الموت لجميع الألوان . . لجميع المعتقدات الأصغر والأحمر
والأبيض والبنى من آسيا ومن أوروبا . . أطفال رضيع
ونساء وأطفال ورجال موتى بسبب المرض وموتى بسبب
الجوع وموتى لسبب بسيط . وهو أنهم كانوا موتى .
وشعر بأصابه نزلق وأدرك فجأة أنه غي خلال ثائية
أخرى سيستقط ويصبح واحدا من الموتى الذين لن
يعرفوا أبدا حقيقة ما حدث .

وبعد لحظة أخرى شعر بثقل هائل فوق كتفيه .
ثقل ضغط جسمه على الكوبرى . وزالت فكرة
السقوط . لم يكن بمفرده آنذا . كان صوت الصبي
لطيفا وهو يشجعه ويقوى من عزيمته الى درجة هائلة .

— سيدى باتسون ! . . سيدى باتسون ! .

وشعر بدراعى الولد ملتفة حوله !

الفصل العشرون

وفي الصباح وبعد مرور بعض الوقت عقب نقل الرجل الهولندي فوق الطوف واختفائه في سيارة على شاطئ النهر البعيد قام الصبي بفصل المقطورة عن السيارة . وكانت الفتاة قد انتزعت صفائح البنزين والماء ثم قام الصبي والفتاة بعمل سقف للمقطورة . وثبت الصبي قطعتين طويلتين من الخشب في مقدمة المقطورة محولا المقطورة الى عربة كاردو صغيرة . وتحتها وضع سلكا طويلا للغاية بحيث يحمل اربعة صفائح من الماء .

وعلى مدى فترة تزيد على الساعة كان هناك

جمهور غفير عند الكوبرى ، حيث كان الناس يحتشرون
ويصفطون ويتداخعون للأمام . وتزايد الاعتقاد الجازم
بأن اليابانيين قادمون . ولم يكن هناك أى غناء صادر
عن رجال : الفارين ، كانوا لا يزالون يعملون لإصلاح
الكوبرى ، وكانت أصوات الموتورات السائرة على الطريق
ما زالت تسمع .

وبحلول الساعة التاسعة كان الصبى واخته قد
انتهيا من اعداد وتجهيز المقطورة . كان لها شكل
المنزلة الصغير الذى له سقف أخضر وعجلات يجرى
فوقها . وادرك الصبى أنه ينبغي عليه أن يأخذ المضخة
والأدوات ، فوضعهما فوق المقطورة . وكان باقرسون
مستلقيا فوق الأرض تحت ظل الأشجار بعيدا عن
الطريق .

وسمع الصبى الأصوات المتراصة من الطريق .
كانت الأصوات تتزايد ارتفاعا ووضوحا ولربما منذ
شروق الشمس . وأصبحت تبدو أكثر وكأنها على
مسافة ميل واحد فقط . . . وفى بعض الأحيان كان

يقف على الطريق وينظر ورأه مراقبا الموقف .

وكان مازال واقفا هناك عندما خرج العسكري
البريطاني رأسه من العربة الحربية التي صعدت فوق
التل . ودهنس العسكري الملحق الوجه المتصبب عرقا
لدى رؤيته الوجه المتبسم فوق قميص كرة القلم .

فقال في ابتهاج :

— انها تسبب لك الارهاق ، أليس كذلك ؟ .

فابتسم الصبي .

وتسائل الجندي :

— أتتكلم اللغة الانجليزية ؟ .

وقال جندي آخر :

— انه يلعب كرة قلم ! ! .

فقال الصبي في ابتسامة عريضة :

— نعم يا سيدي . . نعم يا سيدي !

نقال الجندي الأول :

- انه يتحدث بالانجليزية . وهو مبتهج أيضا .

وكان هو نفسه في حالة من الابتهاج القاسي .

وقد أسعده أكثر أن يشاهد الصبي الشجاع الملغح
بالغبار واقفا بجوار المقطورة وفخورا بقيص كرة القدم
الخاص به .

وتسأل الجندي :

- أنت ذاهب مسافة بعيدة ؟

فابتسم الصبي ابتسامة حائلة .

- انها رحلة مجانية . لا تكلف أى شيء .

فازدادت الابتسامة اتساعا على وجه الصبي كما

لو كان قد فهم النكتة .

وتسأل الجندي :

- ماذا يوقننا ؟

وبعدئذ شاهد الكوبرى ولفت نظر صديقه لكى
يشاهد الكوبرى . وصدرت عن الجندين فى آن واحد
أصوات تلبل على الدهشة البالغة .

وقال :

- فليساعدنا الله . . صلوا من أجلنا ! .

وقال الجندى الأول :

- أمامنا فرصتان . . وإذا لم نستطع الاجتياز
فإننا سنهلك ! .

- وقال الجندى الآخر :

- يمكننا دائما أن نرجع الى الوراء : .

وأعقب هذا انفجار فى الضحك . . قل لهم إن
يتزلوا من العربة .

وشاهد الصبي الرجال الموجودين على ظهر العربة
وهم يخرجون منها . وكانوا يصيحون بالتحية فى وجهه

ولكنه لم يكن يعرف انواع تلك التحيات وسألوه من
المصدر الذي حصل منه على قميص كرة القدم .
وابتسم لهم وشعر بالارتياح اخيرا لأنه أدرك أن تلك
العربة هي التي كانت تصدر الأصوات التي سمعها
بالليل . وتسببت ضحكاتهم في إزاحة المخاوف عن
نفسه . وتجاوزوه في سيرهم وظهروا الواحد تلو الآخر
على مرأى من الكوبرى . والتفتوا الى سائق العربة .

وقالوا :

- واصل المسير بالعربة .. لن نموت سوى
مرة واحدة .. واصل المسير !

وزلوا :

- طابور واحد على الكوبرى .. واستند بضيقه
على عجلة القيادة . وظل الولد ناهرا لأعلى نحسوه
ومجتسما ومبتهجا بالكلمات الفكاهية التي لا يفهم
معناها على وجه الدقة .

وأخرج السائق رأسه من النافذة

وتساءل :

— هل الكوبرى على مايرام ؟

فقال الصبي :

— نعم يا سيدى + الكوبرى فى حالة جيدة !

وكان قد شعر فجأة بثقة كبيرة فى ذلك الكوبرى ،
فبأترسون هو الذى قام بأصلاحه . فهو كوبرى
بأترسون . وكان فخورا بالكوبرى +

وقال الهندى :

— يا أمى !

واستعرد :

— ها نحن قادمون !

ولدى تقدم العربى للأمام أخرج رأسه من النافذة

وقال :

— التقطوا الآلات !

- حاضر يا سيدي !

وقال زميله :

- لسوف نشاهدك في الهند ا . .

ولهم الولد هذه الكلمات . واحس أن ضموه
هائلا مطع عليه كالتوميض . ولوح بينهم .

- نعم يا سيدي ! في الهند ا حالا : مع السلامة
يا سادتي ا مع السلامة أيها السادة . مع السلامة ا .

وابتسموا له وشاهد هو العربية تزحف في بطء
شديده للأمام نحو الكوبري . ولوح بيده مرة أخرى
ثم رجع عائدا إلى باترسون الذي كان يتصحب عرقا
فوق الأرض بالغابة وينتظر أن يحمل إلى داخل العربية
الكارو الصغيرة .

ووضموه في العربية الكارو وتسلم الصبي في
ابتسامة :

— عساكر انجليز ! عربات ضخمة : • عدد كبير
من السادة !! •

ولم يرد عليه باترسون • بعدا عليه كانه يرقب
التلال •

وجر الولد واخته المقطورة نحو الكوبري •
وامامهم كانت العربى الثقيلة قد قطعت نصف المسافة
فوق الكوبري مشيرة الغبار حتى غشاقت الشمس • وكان
الكوبرى النحيل يهتز كله ويتمايل وينحني لأسفل
ولأعلى لدى مرور العربى الثقيلة فوقه • وكان رجال
القارين الذين اصلحوا الكوبري يقفون هناك ويرقبون
• • وكانت هناك أصوات الفرح والهتاف الصادرة عن
الجنود عند الجانب الآخر • ولوح سائق العربى بيده لى
ابتهاج من النافذة •

وبعدئذ ولدى تقدم العربى ضبط الغبار لأسفل
كاشفا عن الشمس ثم سلسلة الجبال الصافية الواقعة
الى ما وراء الشمس • وفجأة • شاهد الصبي الجبال
وبدت له فى نهاية الامر قريبة كما لو كان باستطاعته

أن يمد يديه ويلبسها بهما . وبدأت الجبال للمحطات
كأنها ليست أكثر ارتفاعاً من أغصان شجرة الجاكاراندا
التي تركوها في منزل باترسون . .

وبعدئذ التفت التفتاة الخاوي المتنصر ليلقي نظرة
على باترسون وأدرك أن باترسون شاهد الجبال أيضاً
وعبر وجهه بأكمله جاءت الاشماسة الهائلة .

وبعد لحظات قليلة بدأوا هم أيضاً يعبرون
الكوبري . . !

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع ٩٩/١١٣٦٨

L.S.B.N-----

977 - 01 - 6395 - 3



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف
ولا حدود ولا موصد تبدأ أو تنتهي إليه.. هكذا
تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر في تقديم
أزهار المعرفة للجميع. للطفل.. للشاب.. للأسرة كلها. تجربة
مصرية خالصة يعم فيها ويشع نورها عبر الدفء ويشهد
لها العالم بالخصوصية وما زال الحلم يخطو ويكبر
ويتحلقم وما زلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل
أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد
بان مصر كانت وما زالت وستظل وطن الفكر المتحرر والضم
المبدع والحضارة المتجددة.

ممتاز مبارك



مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع